

مجلة

القدس

مجلة إسلامية شاملة

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1)

العدد 185

ربيع الأول / ربيع الآخر 1448هـ / أيلول / تشرين الأول 2026م

هيئة التحرير

أ.د. جمال أحمد زيد الكيلاني

أ.د. حسن عبد الرحمن السلواي

د. صبحي محمد عبيد

د. محمد خليل جاد الله



المشرف العام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج

يوسف تيسير محمود

المراسلات: مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب: 20517 - القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تليفاكس: 02 - 6262495 / 02 - 2348603

موقعنا على الإنترنت: www.darifta.ps للمراسلة على البريد الإلكتروني: israa@darifta.ps

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

القدس عاصمة فلسطين الأبدية



فهرس العدد

افتتاحية العدد

- 4 الشيخ محمد أحمد حسين ذكرى مولد واصل الرّحم، وحامل الكّل، ومكسب المَعْدوم ...، صلى الله عليه وسلم

كلمة العدد

- 13 الشيخ إبراهيم خليل عوض الله السياقة وسيلة لتيسير الحياة والمعاش وهي نعمة وفن وذوق وأخلاق

مناسبة العدد

- 24 أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني خماسية أوصاف النبي، عليه الصلاة والسلام
- 29 د. محمد خليل جاد الله بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف: استحضار السيرة النبوية وأثرها في ترسيخ القيم الإسلامية
- 37 أ. مهدي سليم ماذا يحتاج واقعنا من السيرة النبوية؟
- 45 أ. شريف مفارحة ذكرى المولد النبوي واستشعار مكانة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في قلوب المسلمين

زاوية الفتاوى

- 53 الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية أنت تسأل والمفتي يجيب

من معين الفقه وأصوله

- | | | |
|----|---------------------|--|
| 61 | الشيخ د. أحمد شوباش | نفيس القلائد في أحكام النساء القواعد |
| 69 | أ. روان الشيخ | نظرية تغير الظروف في الفقه الإسلامي |
| 77 | د. حمزة شواهنة | نصرة المظلوم في منهج الرسل، عليهم السلام |

تربية سلوكية

- | | | |
|----|----------------|-------------------------------|
| 83 | أ. كمال بواطنة | الأسرة ودورها في بناء المجتمع |
| 90 | أ. يوسف عدوي | بين لحظة غضب وندم طويل |

أدبيات

- | | | |
|-----|----------------|----------------------|
| 99 | أ. إيمان تايه | اقرأ وتذكر |
| 102 | أ. زهدي حنتولي | قصيدة .. في رثاء أبي |

نشاطات ... ومسابقات

- | | | |
|-----|---------------|---|
| 103 | أ. مصطفى أعرج | باقة من نشاطات مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن |
| 110 | أسرة التحرير | مسابقة العدد 185 |
| 111 | أسرة التحرير | إجابة مسابقة العدد 183 |

افتتاحية العدد



ذكرى مولد واصل الرِّحم، وحامل الكَلِّ،
ومكسب المَعْدُوم ومقري الضَّيف، والمعين
عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، صلى الله عليه وسلم

الشيخ محمد حسين / المشرف العام

ثبت في الحديث الصحيح "عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ الرَّسُولَ، صلى الله عليه وسلم، أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي"، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ".⁽¹⁾

وفي رواية صحيحة عنها، رضي الله عنها، أنها قالت: "فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ".⁽²⁾

يبين النووي أن قول خديجة، رضي الله عنها، للرسول، صلى الله عليه وسلم: "كلا" هي هنا كلمة نفي وإبعاد، وهذا أحد معانيها، وقد تأتى "كلا" بمعنى حقاً، وبمعنى "ألا" التي للتنبيه، يستفتح بها الكلام، وقد جاءت في القرآن العزيز على أقسام، وجمع الإمام أبو بكر بن الأنباري أقسامها ومواضعها في باب من كتابه: (الوقف والابتداء)

1. صحيح البخاري، باب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

2. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} (الضحى: 3)

وأما قولها: "يُخْزِيكَ" فهو بضم الياء وبالأخاء، كذا هو في رواية يونس وعقيل، وقال معمر في روايته: "يحزنك" بالأخاء والنون، ويجوز فتح الياء في أوله، وضمها، وكلاهما صحيح، والخزي الفضيحة والهوان.^(*)

فهذا الموقف من خديجة، رضي الله عنها، يفيد أن يقينها بالله أنه لن يضيع صاحب مكارم، فلم تقلق ولم تخف على زوجها، الرسول، صلى الله عليه وسلم، وقد جاءها طالباً أن يُزَمَلَ من شدة الفزع الذي وجده وهو يلاقي الوحي أول مرة، ولم يكن له علم سابق بهذا اللقاء ووقعه، ولم يكن مستعداً لهيبته وأحداثه ومجرياته، ولما أخبر زوجه خديجة بما حصل، بادرت إلى طمأنته، بالاستناد إلى عقيدتها أن الله لا يضيع المحسنين من عباده، ولإيمانها وثقتها بمنهج زوجها المستقيم على القيم والأخلاق الكريمة والنبيلة.

المعنى الإجمالي للصفات التي عدتها خديجة:

كان الرسول، صلى الله عليه وسلم، المثل الأعلى في الأخلاق، وكان أسوة حسنة في ذلك، واشتهر بهذه المكارم عند من عاشروه وعاشوه، ومنهم زوجه خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، وقبل تعدادها، بضع صفات رئيسة من صفاته الحسنة، صلى الله عليه وسلم، أقدمت على طمأنته بأن الله لن يخزيه أو يحزنه أبداً، وأقسمت بالله أن الله لن يضيعه، قائلة: "كَلَّا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا"، ثم عدت بعض صفاته الحسنة التي كان يتحلّى بها، صلى الله عليه وسلم، وأجملت معانيها في شروح

* صحيح مسلم بشرح النووي، 2/ 201.

الحديث، قال العلماء، رضي الله عنهم: معنى كلام خديجة، رضي الله عنها، إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكرم الشماثل، وذكرت ضرباً من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء.⁽¹⁾

ومعنى: تَصِلُ الرحم: قال القزاز وصل رحمه صلة، وأصله وصلة، فحذفت الواو، كما قالوا زنة من وزن، وأصل صل هو أمر من وصل أوصل، حذفت الواو تبعاً لفعله، فاستغني عن الهمزة، فحذفت، فصار صل على وزن عل، ومعنى (لتصل الرحم) تحسن إلى قراباتك على حسب حال الواصل والموصول إليه، فتارة تكون بالمال، وتارة تكون بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام، وغير ذلك.

والرحم القرابة، وكذلك الرحم بكسر الراء.⁽²⁾

وفيه دلالة على استحباب صلة الرحم، وهو الإحسان إلى الأقارب.⁽³⁾

و(تَصْدُقُ الْحَدِيثَ): بضم الدال، أي تتكلم بصدق الكلام، ولو كَذَّبوك أو كَذَّبوك⁽⁴⁾، والصدق في الحديث من مكارم الأخلاق وأنبهها، والرسول، صلى الله عليه وسلم، كان يصفه أصحابه، رضي الله عنهم، بالصادق المصدق، كما ذكر عدد منهم عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، حيث كان يقول: "حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

1. إتحاف القاري بدرر البخاري، 2/ 18 - 20.

2. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 1/ 131 - 132.

3. شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، 10/ 14.

4. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 17/ 20.

وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ...⁽¹⁾؛ أي الصادق في قوله، المصدوق فيما يأتي من الوحي الكريم.⁽²⁾ وقد عرف في قومه قبل أن يبعث بالصادق، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء: 214) صَعِدَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ، أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: 1 - 2].⁽³⁾

و"الكل": بفتح الكاف، أصله الثقل، ومنه قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (النحل: 76).⁽⁴⁾

ويدخل في معنى الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك، وهو من الكلال، وهو الإعياء.⁽⁵⁾

1. صحيح البخاري، كتاب القدر، باب في القدر.

2. صحيح مسلم بشرح النووي، 16/ 190.

3. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ } [الشعراء: 214 - 215] أَلَنْ جَانِبِكَ.

4. شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، 10/ 15.

5. صحيح مسلم بشرح النووي، 2/ 201.

الكسب: هو الاستفادة.

والمعدوم: الرجل المحتاج المعدم، العاجز عن الكسب، وسماه معدوماً لكونه كالمعدوم الميت، حيث لم يتصرف في المعيشة كتصرف غيره.

ويذكر السفيري أن الرواية الفصيحة الكثيرة المشهورة «تَكْسِبُ» بفتح التاء، واختلف في معناه على خمسة أقوال، منها:

تعين المحتاج، فإن الرجل المحتاج العاجز عن الكسب كالمعدوم البت، أي: تعين هذا الذي كالمعدوم؛ لعجزه فتعينه، وقيل في معناها غير ذلك.

وروي «تُكْسَبُ» بضم أوله، بمعنى تُكْسَبُ غيرك المال المعدوم، أي: تعطيه إياه، فحذف أول مفعوله، وقيل: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من مكارم الأخلاق والعلوم، وغير ذلك.⁽¹⁾

وقوله «وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومُ» بفتح التاء، هو المشهور الصحيح في الرواية، والمعروف في اللغة، وروي بضمها، وفي معنى المعدوم قولان: أحدهما معناه تكسب غيرك المال المعدوم؛ أي تعطيه له تبرعاً. وثانيهما: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من معدومات الفوائد ومكارم الأخلاق، يقال: كسبت مالا، وأكسبت غيري مالا.⁽²⁾

- وكانت العرب تتمادح بكسب المال المعدوم، لا سيما قريش، وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، يكسب المال العظيم الذي يعجز عنه غيره، ثم يجود به في وجوه

1. شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، 10 / 15.

2. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 1 / 132.

الخير وأبواب المكارم.

تَقْرِي الضَّيْفَ: "تَقْرِي" بفتح التاء وكسر الراء، أي تطعم الضيف، أي النازل بك⁽¹⁾، أي تحسن الضيافة والوفادة، أي تحصل المال للخير، أو تعطي المحتاج، فكأن الفقير معدوم في نفسه، أو في نظر الغني، أو لأن الفقر يقتضي الفناء والإسكان، كما أن الغنى يوجب الظهور والتحرك والطغيان.

وإكرام الضيف له منزلة رفيعة في الإسلام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"**.⁽²⁾

وإكرام الضيف من شيم الأنبياء، عليهم السلام، فإبراهيم، عليه السلام، سارع لمن ظن أن ضيفه من البشر، قبل أن يُبلِّغ أنهم ملائكة، أرسلهم الله في مهمة وتكليف رباني، فذبح لهم عجلًا حنيذًا، وقربه إليهم ليأكلوا منه، كما ذكر الله عنه: **{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}** (هود:69).

وقال تعالى: **{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ}** (الذاريات: 24 - 26)

وحرص لوط، عليه السلام، على احترام ضيوفه من الملائكة، وتوسل لقومه أن

1. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 21/ 17.

2. صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَاب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ.

لا يخزوه فيهم، حسب ما جاء في الخبر القرآني عنه، إذ قال تعالى: {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} (هود:78)

يَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ: النوائب جمع نائبة، وهي الحادثة، وإنما قالت: "نوائب الحق"؛ لأن النائبة قد تكون في الخير، وقد تكون في الشر، قال لبيد:

نوائب من خير وشر كلاهما فلا الخير ممدود ولا الشر لازب⁽¹⁾

فخديجة، رضي الله عنها، وصفته بأصول مكارم الأخلاق؛ لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب، وإما بالبدن أو بالمال، وإما على من يستقل بأمره، أو من لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به.

كان عليه الصلاة والسلام، يعين على نوائب الحق، وهي كلمة جامعة لإفراد ما تقدم، ولما لم يتقدم.

فوائد مستنبطة من مقطع حديث عائشة المثبت نصه آنفاً:

* يبين ابن بطال أن في هذا الحديث جواز تزكية الرجل في وجهه بما فيه الخير، وليس بمعارض لقوله، صلى الله عليه وسلم: "إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ"⁽²⁾. وإنما أراد بذلك إذا مدحوه بالباطل، وبما ليس في الممدوح.⁽³⁾

* وفيه دليل على أنه ينبغي لمن حضر عند من حصلت له مخافة من شيء أن يذكر له أسباب السلامة، وأن يذكر ما فيه من الفضائل، كما فعلت خديجة مع النبي، صلى الله عليه وسلم.

1. صحيح مسلم بشرح النووي، 1/ 287.

2. صحيح مسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْمَدْحِ، إِذَا كَانَ فِيهِ إِفْرَاطٌ وَخَيْفٌ مِنْهُ فِتْنَةٌ عَلَى الْمَمْدُوحِ.

3. شرح صحيح البخاري - لابن بطال، 1/ 38.

وفيه أبلغ دليل على راحة عقل خديجة وجزالة رأيها، وقوة نفسها وعظمتها، جمعت رضي الله عنها، أنواع المكارم جميعها وأمهااتها.⁽¹⁾

* يذكر العيني أن هذا الحديث من مراسيل الصحابة، رضي الله عنهم، فإن عائشة، رضي الله عنها، لم تدرك هذه القضية، فتكون سمعتها من النبي، صلى الله عليه وسلم، أو من صحابي.

وقال ابن الصلاح وغيره: ما رواه ابن عباس، رضي الله عنهما، وغيره من أحداث الصحابة مما لم يحضروه ولم يدركوه، فهو في حكم الموصول المسند؛ لأن روايتهم عن الصحابة، وجهالة الصحابي غير قاذحة.

وقال أبو إسحق الإسفرايني: لا يحتج به إلا أن يقول إنه لا يروى إلا عن صحابي.

قال النووي: والصواب الأول، وهو مذهب الشافعي والجمهور.

وقال الطيبي: الظاهر أنها سمعت من النبي، صلى الله عليه وسلم، لقولها قال: فأخذني فغطني، فيكون قولها أول ما بدىء به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حكاية ما تلفظ به، عليه الصلاة والسلام، كقوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} {آل عمران: 12}، بالتاء والياء، وأنكر العيني أن يكون هذا بطريق الحكاية عن غيره، عليه الصلاة والسلام، فلا يكون سماعها منه، عليه الصلاة والسلام، وعلى كل تقدير فالحديث في حكم المتصل المسند.⁽²⁾

* صفات النبي، صلى الله عليه وسلم، التي ذكرتها خديجة، رضي الله عنها، كانت قيماً نبيلة يقدرها العرب حتى في جاهليتهم، فقد وَصَفَ ببعضها ابن الدغنة أبا بكر

1. شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، 10 / 16.

2. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، 1 / 122.

الصديق، رضي الله عنه، كما جاء في الحديث الصحيح عن عائشة، قالت: "لَمْ أَعْقُلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَرَفِي النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قَبْلَ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ، فَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: إِنَّ مِثْلَكَ لَا يُخْرَجُ وَلَا يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَأَعْبُدْ رَبَّكَ بِلَادِكَ، فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَارْجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشُ جَوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَأَمَّنُوا أَبَا بَكْرٍ...". (*)

* صحيح البخاري، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعقده.



السياقة وسيلة لتيسير الحياة والمعاش وهي نعمة وفن وذوق وأخلاق

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

يفترض بالمركبات الأرضية والجوية والبحرية أن تقاد من قبل مؤهل لقيادتها، ويلزمه لذلك فقه بالقيادة وتدريب لإتقان المهارات اللازمة لذلك، وعند ممارستها يفترض فيه أن ينصاع لأنظمة القيادة وقوانينها، وأي خلل بالخصوص تنتج عنه عواقب وخيمة، قد تشمل إحداث كوارث، ووقوع قتلى وإصابات، وهلاك أموال بسبب الحوادث، أو هدرها جراء التعويض عن الحوادث، أو تحمل كلفة المخالفات التي تفرض على منتهكي أنظمة السير وقوانينه.

والأصل في المركبات بأنواعها أن تخدم الإنسان في تنقله البعيد والقريب، وفي نقل متاعه، واختصار أوقاته، وذلك حين يحسن استخدامها وفق الأصول المرعية، وبخلاف ذلك سواء بسبب سوء القيادة، أم إهمال الصيانة اللازمة للمركبات، فإن العواقب تتفاوت بين اليسيرة وبين الكوارث المفجعة، وتهدف هذه الكلمة إلى التذكير ببعض الأمور والقضايا التي تتعلق بالسياقة، فوسائل النقل والمواصلات نعمة إذا أحسن استخدامها لتسهيل متطلبات الحياة والمعاش، وأنها تنقلب وبالأقل ونقمة إذا حدث العكس، والسياقة فن وذوق وأخلاق.

السياقة والسوق في اللغة والاصطلاح:

السياقة مصدر ساق، أي قاد وتحكم بحركة المركبة وسيرها ووقفها.

وقد جاء في لسان العرب أن السياقة في اللغة من السوق، ومعنى ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسِيقاً، وهو سائق، وسَوَّاق - شُدَّدَ للمبالغة - وأساقها واستاقها فأنسقت، وسَوَّاق الإبل يُقَدِّمُها، وتَسَاوَقَتِ الإبلُ تَسَاوُقاً، إذا تتابعت، وكذلك تقاودت، فهي مُتَقَاوِدَةٌ ومُتَسَاوِقَةٌ.

وساق بنفسه سيقاً، نَزَعَ بها عند الموت، تقول رأيت فلاناً يسوق سوقاً، أي ينزع نزعاً عند الموت، ويقال فلان في السِّيق، أي في النَّزْع، وفي الأثر دخل سعيد على عثمان وهو في السَّوْق، أي النزع، كأنَّ روحه تُساق لتخرج من بدنه.⁽¹⁾

والسائق من يقود السيارة أو القطار ونحوهما.⁽²⁾

شواهد لذكر السياقة ومشتقاتها في القرآن والسنة والأثر:

نزل في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} (ق: 21) النفس هنا من النفوس البرّة والفاجرة {مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} أي: ملكان، أحدهما يسوقه إلى المحشر، والآخر يشهد عليه بعمله.

وقيل: السائق: كاتب الحسنات، والشاهد: كاتب السيئات.⁽³⁾

{وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا} (مريم: 86)

1. لسان العرب، 10 / 166.

2. المعجم الوسيط، 1 / 464.

3. البحر المديد، 7 / 271.

وسوق المجرمين إلى جهنم ورداً، هو دفعهم إليها، وسوقهم نحوها، كما تساق

الأنعام، فهم أشبهه بقطيع من الماشية يساق إلى المذبح.⁽¹⁾

ويقول عز وجل: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ

أَنْعَامُهُمْ وَانْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ} (السجدة: 27)؛ أي أولم يعلموا بسوقنا الماء إلى الأرض

التي لا تنبت إلا بسوق الماء إليها، وقيل هي اليابسة، وأصله من الجرز، وهو القطع:

أي التي قطع نباتها لعدم الماء، ولا يقال للتي لا تنبت أصلاً، كالسباخ جرز.⁽²⁾

وفي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ".⁽³⁾

"يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ" كناية عن استقامة الناس إليه وانقيادهم، واتفاقهم عليه،

ولم يُرَدِّ العصا نفسها، وإنما ضربها مثلاً لاستيلائه عليهم، وطاعتهم له، إلا أن في

ذكرها دلالة على عَسْفِهِ بهم، وخشونته عليهم.⁽⁴⁾

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَى عَلَى أَزْوَاجِهِ وَسَوَاقٍ يَسُوقُ بِهِنَّ،

يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُؤَيْدًا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ». ⁽⁵⁾

وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ

1. التفسير القرآني للقرآن، 2/ 201.

2. فتح القدير، 4/ 366.

3. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ذكر قحطان.

4. مختار الصحاح، ص 167.

5. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في رحمة النبي، صلى الله عليه وسلم، للنساء وأمر السواق مطايهن بالرفق بهن.

فِي سَفَرٍ، وَكَانَ غُلَامٌ يَخْدُو بِهِنَّ، يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُؤَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ» قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: يَعْنِي النِّسَاءَ.⁽¹⁾

وَالْحَدُّ سَوْقُ الْإِبِلِ وَالْغَنَاءُ لَهَا.⁽²⁾

وَعَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: «حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ».⁽³⁾

ومعنى "في سياقه الموت" بكسر السين، أي حال حضور الموت.⁽⁴⁾

فلفظ السياق والسوق فصيح، ومعانيه يحددها سياق الاستخدام، ومن تلك

المعاني البارزة قيادة المركبات بأنواعها.

السياقة نعمة ووسيلة لتيسير سبل الحياة والمعاش:

وسائل المواصلات والترحال نعمة من الله بها على عباده، وقد كانت الخيل والبغال

والحمير هي وسائل النقل والمواصلات، وكان الناس بالإضافة إلى استخدامها لهذه

الغاية يتباهون بها، كما يتباهى بعض الناس اليوم بأنواع فاخرة من المركبات، والله

تعالى يقول في نعمة الأنعام: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

* وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ *

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ} {غافر: 79 - 81}

وَيَقُولُ تَعَالَى فِي نِعْمَتِهَا كَذَلِكَ: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: المعارض مندوحة عن الكذب.

2. مختار الصحاح، ص 167.

3. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

4. صحيح مسلم بشرح النووي، 2 / 137.

فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ { (يس: 71 - 73)

وَيَقُولُ تَعَالَى فِيهَا أَيْضًا: {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (النحل: 5 - 8)

يذكر الشنقيطي أن الله تَعَالَى بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّهُ يَحْمِلُ خَلْقَهُ عَلَى الْأَنْعَامِ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْإِبِلُ؛ لِأَنَّ الْحَمْلَ عَلَيْهَا هُوَ الْأَغْلَبُ، وَعَلَى الْفُلْكِ: وَهِيَ السُّفُنُ، وَلَفْظُ الْفُلْكِ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ مِنَ السُّفُنِ، وَمَا ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الْإِمْتِنَانِ عَلَى خَلْقِهِ بِمَا يَسَّرَ لَهُمْ مِنَ الرُّكُوبِ وَالْحَمْلِ، عَلَى الْأَنْعَامِ وَالسُّفُنِ جَاءَ مُوضِّحًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ.

وَيَقُولُ تَعَالَى فِي السُّفُنِ: {وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ * إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} { (يس: 41 - 44)

وَيَقُولُ تَعَالَى فِي نِعْمَةِ الْفُلْكِ: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ} { (الحج: 65)

وَيَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ

حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل: 14)

وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ هَذِهِ كَثِيرَةٌ، وَهَذَا مِنْ نِعَمِهِ وَآيَاتِهِ سُبْحَانَهُ، وَقَرْنَ الْأَنْعَامَ بِالْفُلْكِ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ؛ لِأَنَّ الْإِبِلَ سَفَائِنُ الْبَرِّ. (*)

فوسائل النقل والمواصلات سواء أكانت من الحيوانات أم غيرها نعمة عظيمة تقرب البعيد، وتختصر الوقت، وتسهل النقل وحمل السلع والمعدات، فهي نعمة جليلة ييسرها الله لخلقه، ينبغي لهم شكره سبحانه عليها، وهو الذي أرشدنا لما نقوله حين نركبها، بقوله جلَّ شَأْنُهُ: {وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} (الزخرف: 12 - 14)

أي أنه يلزمنا استحضار شكر الله وتسبيحه سبحانه لما نركب وسائل النقل والمواصلات، ويترتب على هذا الاستحضار أيضاً اتقاء الله في مركوبنا وسيرنا وتنقلنا.

متى تصبح وسائل النقل والمواصلات نعمة؟

وسائل النقل والمواصلات الأصل أنها نعمة إذا أحسن استخدامها، وأُحسنَت رعايتها، وتصبح على النقيض من ذلك إذا أُسيء استخدامها، وإذا جلبت لصاحبها الغرور والتنكر لله المتفضل بنعمه على خلقه، ومن سوء استخدامها قيادتها برعونة،

* أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 5 / 332.

أو من قبل غير مرخص لذلك، والله نهى خلقه عن إيتاء السفهاء أموالهم، فقال عز وجل: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا} (النساء: 5)، ومن أموالنا التي ينبغي أن نمتنع عن الإذن للسفهاء باستخدامها المركبات، لما قد ينتج عن سوء استخدامها من كوارث ومصائب، قد تعصف بالأرواح والأموال، وتروع سالكي الطرق من الركاب والمشاة.

فالسباقة وسبلة لتسهل أمور الحياة والمعاش، إذا أحسن استخدامها وتم ضبط ذلك بالأصول المرعية، وإلا فالعاقبة طامة ووخيمة.

شعار (السباقة فن وذوق وأخلاق):

كثيراً ما يردد الناس عن السباقة بأنها فن وذوق وأخلاق، فهي فن من حيث إنها مهارات بحاجة إلى تدريب وتأهل وقدرة على القيام بها، وفق الأصول المرعية، فهي تتعلق بالذهن والتركيز وضبط حركة اليبدين والقدمين والنظر بالعينين، وإصغاء الأذنين، ولا تصلح دون هذا بمجمله، فلا تصلح مع انشغال النظر بجهاز هاتف أو غيره، ويلزمها استخدام القدمين حسب المطلوب للتوقف بالدعس على الموضع المناسب، وعند وجود إعاقة تمنع من استخدام بعض أعضاء الجسم، فالأمر وقتئذ يلزمه تعديل على هيكل المركبة ليناسب حال السائق وهو بهذا الموضع، والسباقة الخاصة بالمركبات الأرضية توضع لها شواخص وأنظمة تحدد آلية السباقة من حيث المرور والتوقف والتجاوز والسرعة وما إلى ذلك.

والسياقة ذوق أهميته عظيمة، فأعطاء حق الأولوية لمن هي له لازم، لكن مراعاة ظرف الطريق والسائق للتبرع له بأولوية يلزم أحياناً كثيرة، سواء إعطاؤها لمن يقود مركبة أخرى أم لمن يعبر الطريق ماشياً، والسياقة أخلاق تستوجب التحلي بمكارم كثيرة، منها تجنب إزعاج الناس بالأصوات المنبعثة من المركبة، أو من المذياع الذي بداخلها، والامتناع عن رمي نفايات من المركبة، وهذا ذوق ممزوج بالوجوب، والتعامل مع الناس في الشارع يلزمه حِلْمٌ وروية وتقدير مواقف حسنة، وطرح سلام وإبداء احترام، وبخلاف ذلك خلل في الأخلاق وهنات، كمن يسوق بعنجهية، وكأنه يقول للأرض: اشتدي ما عليك أحد مثلي.

حكم التقيد بقوانين المرور والسير من ناحية شرعية:

يظن بعض الناس مخطئين أن العمل بقوانين السير والانصياع لها ليس بلازم شرعي، كونها قوانين وضعية ومدنية، لم ترد بتفاصيلها أدلة شرعية، وهذا الظن خاطئ، كون المركبات التي تقاد اليوم لم تكن موجودة زمن نزول القرآن الكريم، ولا في عهد النبوة، فهي كغيرها من المستجدات بحاجة إلى تنظيم وضوابط، لضمان نفعها ودفع ضررها، وفي حديث الأمر بالرفق بالقوارير دلالة على أن قيادة المواكب تحتاج إلى مراعاة قدرات المنقادين، ودفع الضرر عنهم، فالرسول، صلى الله عليه وسلم، لما رأى أن أنجشة يُرهق النساء اللواتي يقودهن، أمره بالرفق بهن، من خلال تخفيف

سرعته ومراعاة ضعفهن، فدعا للرفق بالقوارير، قال قتادة: يعني ضعفة النساء.⁽¹⁾

قال العلماء: سمى النساء قوارير لضعف عزائمهن وشبههن بالقارورة -الزجاج-

لضعفها وإسراع الانكسار إليها، ثم قيل مقصود الحديث الرفق في السير؛ لأن الإبل إذا سمعت الحذاء أسرع في المشي، واستلذته فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك؛ لأن النساء يضعفن عند شدة الحركة، ويخاف تضررهن وسقوطهن، وقيل: كان أنجشة حسن الصوت، وكان يحدو بهن وينشد شيئاً من القريض والرجز، وما فيه تشبيب، فلم يأمن أن يفتنهن، فأمره بالكف عن ذلك.⁽²⁾

ومجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم 96/ 1 (207/ 2012/ 3) الصادر بتاريخ

2012/ 3/ 29 تبنى لزوم التقيد بقوانين السير، فرداً على سؤال: ما حكم التقيد بقوانين

السير التي تنظم حركة المركبات والمشاة على الطرقات؟

قرر مجلس الإفتاء الأعلى في قراره هذا: أن الالتزام بقوانين السير وإشارات المرور التي تنظم حركة المركبات والمشاة على الطرقات، وتبين السرعات، والاتجاهات المسموحة، والممكن من الممنوع، يحقق مصلحة كبيرة لمن يسلك الطريق جميعهم، ومخالفة تلك القواعد والإشارات توقع الناس في مخاطر وأضرار تؤثر في ممتلكاتهم وأرواحهم كما هو معروف.

وقد دلت كثير من الآيات والأحاديث الصحيحة على مسؤولية الإنسان عن حفظ

1. المتواري على أبواب البخاري، ص183.

2. شرح السيوطي على مسلم، 5/ 325.

دماء الآخرين وممتلكاتهم، فقال الله تعالى: {مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} (المائدة: 32)، وتنص القاعدة الشرعية على أن: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، وبما أن حفظ الدماء يتحصل بوسائل منها مراعاة قواعد السير، فصار الالتزام بها واجباً شرعاً.

وفي الحديث الصحيح أن النبي، صلى الله عليه وسلم قال: (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بِدُّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أُبَيِّتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَدَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(*)، ودلت على ذلك أيضاً القاعدة الشرعية (لا ضرر ولا ضرار)، كما أن الالتزام بقواعد السير يُسهم في تحقيق أعلى درجات مقاصد الشريعة، وهي حفظ الضرورات الخمس، الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال.

وإن قواعد السير المنظمة من قبل جهات الاختصاص واجبة الالتزام، استناداً إلى القاعدة الشرعية (تصرف الإمام بالرعية منوط بالمصلحة)، وقاعدة (سد الذرائع)، لأن المصلحة من الالتزام بها متوافقة مع نصوص الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الإسلامية.

وإن مجلس الإفتاء الأعلى يرى أن الالتزام بقواعد تنظيم المرور أمر واجب شرعاً،

* صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصدقات.

لأنه يقوم على تحقيق المصالح ودرء المفسد، وأن مُخالفها ضامن؛ إن حصل منه ضرر أو إتلاف، والظاهر أنه قد يَأْثُر.

عسى أن يحفز ما تم ذكره وتبسيطه على استشعار نعمة الله على خلقه بوسائل النقل والمواصلات، وشكر الله على تفضله بذلك عليهم، ومن مستلزمات هذا الاستشعار التقيد بقوانين السير، لاستكمال تحقيق منافع المركبات، ودرء المفسد والأضرار التي تنتج عن الإهمال بها، أو التسيب في استخدامها، وتطوّر وسائل النقل والمواصلات لن يقف عند حد، فهو مثل وسائل الحياة الأخرى يخضع للتطوير والتحديث، وليبقى شعارنا ومسارنا منضبط بمضمون قوله عز وجل: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} {إبراهيم: 7}



خماسية أوصاف النبي عليه الصلاة والسلام

أ.د جمال أحمد زيد الكيلاني / عميد كلية الشريعة / جامعة النجاح الوطنية
عضو مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين

قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 128]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة،
سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فتحلُّ علينا ذكرى عطرة عزيزة على قلوبنا، وهي ذكرى ميلاد الحبيب ﷺ، وخير
ما نستذكره في هذه الذكرى بأن نتأسى بصفاته وأخلاقه الحسنى، وسنقف في هذه
المقالة مع خمس صفات وأوصاف وردت في الآية الكريمة التي صدرنا بها هذه المقالة.
أولى هذه الأوصاف: "رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ"، يمتن سبحانه علينا في هذه الصفة
أن بعث للإنسانية وللمؤمنين رسولاً من أنفسنا أي من جنسنا، بشر مثلنا ومثله، قال
تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ}، [آل عمران: 164]

إنَّ كون الرسول ﷺ من أنفسنا نعمة من الله؛ لأنَّ من شأن هذا الوصف أن
يكون النبي ﷺ صاحب النفس الزكية عارفاً بآفات النفوس، وعالماً بما يصلحها، فلا

يكلف المؤمنين فوق ما يطيقون، ولهذا يقول ﷺ كما روى البخاري: "أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" (1).

وما أجدرنا أن نجعل هذا الوصف الكريم منهجاً لحياتنا؛ فقد خلقنا الله جميعاً من نفسٍ واحدة، لتتراحم لا لتتخاصم، وتتعاذر لا لتتنافر، وتتعاون لا لتتشاق. فليحمل كلُّ منا لأخيه قلباً رحيماً، وعذراً كريماً، فإن في التسامح حياةً للقلوب، وفي حسن المعاملة رفعةً للأمر.

ويزيد هذه الصفة وضوحاً حديث حنظلة، وقد ذهب إلى النبي ﷺ باكياً يقول كما جاء في صحيح مسلم: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْنَا عَيْنَ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ" (2).

ثاني هذه الأوصاف: "عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ"؛ ومعنى هذا الوصف أنه يصعب عليه مخالفتكم، ويشق عليه إعراضكم؛ لأنه ﷺ يحب الخير لنا، ولقد كان هذا الوصف جلياً في سيرته ﷺ، وبين لنا ذلك بقوله: "إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ

1. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح.

2. صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة...

نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ، وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَخَذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا⁽¹⁾.

وكثيرة هي الروايات التي تبين هذه الصفة النبوية، فكم مرة قال ﷺ ولولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالوضوء عند كل صلاة أو السواك عند كل صلاة وغيرها. فما أجمل في ذكرى ميلاده العطرة أن نقنطد برسول الله ﷺ في هذه الأوصاف، فنحب الخير لغيرنا كما نحب لأنفسنا، ويعز علينا أن يقع الناس في العنت والمشقة، فنحذرهم ونحميهم من الوقوع فيها، أسوتنا في ذلك خير البرية ﷺ.

وثالث هذه الأوصاف: "حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ"، بأبي وأمي أنت يا رسول الله ﷺ، حريص علينا، أي حريص على إيماننا وحسن أخلاقنا وأعمالنا، حتى نبوأ مقعد صدق عند مليك مقتدر، ومن هذا الحرص حرّم على المسلم أن يكون إمّعة، ومن هذا الحرص أراد لهذه الأمة أن تكون ذات شخصية مستقلة، لا تتبع سنن من قبلها، وأراد أن نكون كالجسد الواحد، قال ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى"⁽²⁾.

ومن هذا الحرص حرّم على كل مسلم أن يعتدي على أخيه المسلم، فقال ﷺ: "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرِضُهُ"⁽³⁾، وقال ﷺ: "لَا تَرْجِعُوا

1. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي.

2. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

3. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.

بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ⁽¹⁾.

فما أحوجنا يا رسول الله ﷺ في هذه الأيام إلى أن تتأسى بك في ذكرى مولدك الشريف في هذا الوصف الإنساني الراقي، فيحرص كل واحد منا كل الحرص على حب الخير لأخيه المسلم ومساعدته، ودفع كل سوء عنه.

أما الوصفان الرابع والخامس، فهما: **"بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"**:

وهما وصفان يدلان على قمة الإنسانية عند رسول الله ﷺ؛ فالرأفة ما كانت تتعلق بدفع ضرر أو رفع بلاء، والرحمة تشمل هذا، وتشمل جلب الإحسان وإيصال الخير، وعلى هذا فالرحمة أعم من الرأفة، فالنبي ﷺ بالمؤمنين رؤوف يدفع الضرر عنهم، ويجنبهم كل ما فيه بلاء، وهو رحيم بهم بإسداء الخير وجلب الإحسان، فمعنى هذين الوصفين أن الرسول ﷺ كان في أحواله الشريفة كلها لا يدع باباً من أبواب الفتنة ولا جانباً من جوانب الضرر إلا وحذرنا من الوقوع فيه، ولا جانباً من جوانب الإحسان إلا ويفتحه على مصراعيه لينعم به المؤمنون.

إن رأفة النبي، صلى الله عليه وسلم، ورحمته بالمؤمنين لها شواهد حق وصدق في سيرته العطرة، وأقواله الكريمة، نستذكر منها في هذه الذكرى العطرة: **"فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ"**⁽²⁾، وقوله ﷺ: **"إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلَفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ،**

1. صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.

2. صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء.

فَإِنْ كَلَفْتُمُوهُمْ فَاعَيْنُوهُمْ⁽¹⁾، وصدق ﷺ حيث قال: "أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ"⁽²⁾.

خاتمة:

في الختام، فإن هذه الأوصاف العطرة لم يذكرها الله تعالى في كتابه العزيز لتكون كلماتٍ تُتلى فحسب، أو معاني تُعجب بها الأسماع، وإنما أنزلها لتكون منهجاً يُقتدى به، وسلوكاً يُترجم في واقع الحياة، واقتداءً صادقاً بنبينا الكريم ﷺ. فبقدر ما تتجسد هذه الصفات في النفوس، يزدهر المجتمع بالمحبة، ويترسخ فيه الوئام، وتقوم دعائم التكافل والتراحم بين المسلمين؛ فيحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ويجعل همّه نشر الخير والإحسان، لا لنفسه وحدها، بل لكل من حوله، ويغدو قلبه عامراً بالرحمة، ولسانه رطباً بالكلمة الطيبة، ويده ممدوداً بالعون والإحسان؛ فالراحمون يرحمهم الرحمن.

فطوبى لمن جعل في ذكرى ميلاد النبي ﷺ هدياً ونبراساً لحياته، وتحلّى بأخلاقه في قوله وفعله، وسعى إلى جمع القلوب لا تفريقها، وإحياء المودة لا إخمادها. وما أحوج أمتنا اليوم إلى الأخلاق النبوية التي تبني الإنسان، وتصلح المجتمع، وتورث محبة الله ورضوانه.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الاقتداء بنبيه ﷺ، وأن يزيننا بمكارم الأخلاق، ويجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

1. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك.

2. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم.



بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف : استحضار السيرة النبوية وأثرها في ترسيخ القيم الإسلامية

د. محمد خليل جاد الله / الوكيل المساعد - دار الإفتاء الفلسطينية

مقدمة:

شكّلت بعثة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، نقطة تحول فاصلة في تاريخ الإنسانية؛ إذ جاءت برسالة عالمية استهدفت بناء الإنسان، وإصلاح المجتمع، وإرساء منظومة أخلاقية تحفظ الكرامة الإنسانية، وتحقق العدل، وتنتشر الرحمة. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة بقوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** (الأنبياء: 107)، فجعل الرحمة الإطار الجامع لرسالاته، صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا، فإن استحضار ذكرى المولد النبوي الشريف لا يقتصر على استذكار حدث تاريخي، بل يمثل مناسبة لتجديد الارتباط بسيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، واستلهام ما تضمنته من قيم إنسانية وأخلاقية قادرة على الإسهام في معالجة كثير من تحديات الواقع المعاصر.

وقد جاءت السيرة النبوية منهجاً عملياً لبناء الإنسان، قائماً على تزكية النفس وتقويم الأخلاق قبل بناء العمران، كما قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}** (الجمعة: 2). ويؤكد الإمام

أبو حامد الغزالي أن صلاح المجتمع يبدأ بإصلاح القلب وتهذيب الأخلاق؛ لأن استقامة الظاهر ثمرة لصلاح الباطن⁽¹⁾.

وقد جسد النبي، صلى الله عليه وسلم، هذه القيم في حياته وسلوكه، حتى أثنى الله عليه بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: 4)، وقالت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»⁽²⁾. كما جعل الإسلام محبته، صلى الله عليه وسلم، من كمال الإيمان، فقال: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»⁽³⁾، وهي محبة تظهر آثارها في اتباع هديه، والافتداء بأخلاقه.

وفي ظل ما يشهده العالم من تحولات فكرية واجتماعية، وتراجع في كثير من القيم، تتجدد الحاجة إلى قراءة واعية للسيرة النبوية، تستخلص مقاصدها التربوية والإنسانية، وتربطها بواقع الناس وقضاياهم. ومن هذا المنطلق، يهدف هذا المقال إلى بيان أثر استحضار السيرة النبوية في ترسيخ القيم الإسلامية، وإبراز دورها في بناء الفرد والمجتمع، بما يجعل ذكرى المولد النبوي دعوة متجددة لإحياء النموذج النبوي في الفكر والسلوك والحياة.

المولد النبوي الشريف وتجديد الوعي برسالة الإسلام:

تعدُّ ذكرى المولد النبوي الشريف مناسبة لاستحضار النعمة العظيمة التي امتنَّ الله تعالى بها على البشرية ببعثة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، لينقل الناس من ظلمات الجهل إلى نور الهداية، ويؤسس منظومة قوامها

1. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3.

2. مسند أحمد، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، رضي الله عنها، وقال الأرئؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

3. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول، صلى الله عليه وسلم، من الإيمان.

العدل والرحمة والكرامة الإنسانية. قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} (آل

عمران: 164)

ولم يكن مولد النبي، صلى الله عليه وسلم، ميلاد شخصية عظيمة فحسب، بل كان بداية رسالة عالمية أعادت بناء التصور الإسلامي للإنسان والحياة، ورسخت قيم المساواة والعدل، وربطت التفاضل بين الناس بالتقوى والعمل الصالح. ومن ثم، فإن القيمة الحقيقية لاستحضار ذكرى المولد النبوي تكمن في استلهام المضامين الحضارية للرسالة الإسلامية، وتفعيلها في مواجهة تحديات الواقع.

وقد قدم القرآن الكريم الرسول، صلى الله عليه وسلم، بوصفه القدوة الكاملة، فقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} (الأحزاب: 21). وتشمل هذه الأسوة جوانب الحياة جميعها؛ من العبادة والأخلاق، إلى إدارة المجتمع، والعلاقات الأسرية والاجتماعية، والتعامل مع المخالفين، ومواجهة الأزمات.

ومن هنا، فإن تجديد الوعي برسالة الإسلام لا يتحقق بالمظاهر أو الاحتفاء الموسمي، وإنما بالاقتداء العملي بهدي النبي، صلى الله عليه وسلم، وتحويل قيمه إلى سلوك يومي.

وقد أكد النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا المعنى بقوله: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» (*).

* صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما تكشف السيرة النبوية عن نموذج متوازن في التعامل مع مختلف ظروف الحياة؛ فقد واجه النبي، صلى الله عليه وسلم، السلم والحرب، والرخاء والشدة، والنصر والابتلاء، وظل ثابتاً على مبادئه، حكيماً في مواقفه، ما أكسب سيرته صلاحية دائمة للاقتداء في مختلف الأزمنة والبيئات. ولذلك فإن دراسة السيرة ينبغي أن تتجاوز سرد الأحداث إلى استنباط منظومة القيم التي صنعت الجيل الأول، وربطها بواقع الأمة وتحدياتها المعاصرة.

السيرة النبوية وتجسيد منظومة القيم الإسلامية:

جاءت الرسالة الإسلامية لتجسد القيم الأخلاقية في واقع الحياة، فلم تقتصر على تقرير المبادئ، وإنما قدمت نموذجاً عملياً لتطبيقها من خلال السيرة النبوية، التي مثلت التطبيق الأكمل لهدي القرآن الكريم. ويؤكد ابن القيم أن هدي النبي، صلى الله عليه وسلم، هو أكمل الهدي في تحقيق مصالح العباد في دينهم ودنياهم، وأن سيرته تمثل منهجاً عملياً تتجسد فيه مقاصد الشريعة وقيمها^(*).

وقد قامت الدعوة الإسلامية على التوافق بين القول والعمل، فكان النبي، صلى الله عليه وسلم، أول الممثلين لما يدعو له، مصداقاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} (الصف: 2). ومن هنا اتسم البناء الأخلاقي في السيرة بالتكامل؛ إذ جمعت بين الرحمة والعدل، والأمانة والمسؤولية، والحقوق والواجبات، بما يحقق التوازن بين الفرد والمجتمع.

وتبرز الرحمة بوصفها أساس العلاقات الإنسانية في السيرة النبوية؛ فقد شملت تعامل النبي، صلى الله عليه وسلم، مع أصحابه والضعفاء والمخالفين، وبلغت ذروتها

* ابن القيم، زاد المعاد، ج1، ص69.

في موقفه يوم فتح مكة، حين اختار العفو مع قدرته على العقوبة، مقدماً نموذجاً في القيادة الأخلاقية التي تجعل الإصلاح والمصلحة العامة مقدمين على الانتقام.

وفي الوقت نفسه، رسخت السيرة مبدأ العدل والمساواة أمام الأحكام، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)⁽¹⁾، تأكيداً لرفض المحاباة والتمييز، وإرساءً لمبدأ سيادة العدالة. ويقرر ابن عاشور أن العدل مقصد كلي من مقاصد الشريعة، وأن انتظام حياة المجتمعات واستقرارها لا يتحققان إلا بصيانة الحقوق وإقامة العدل⁽²⁾.

كما مثلت الأمانة إحدى الركائز الأساسية في شخصية النبي، صلى الله عليه وسلم؛ فقد ظل وفياً بها قبل البعثة وبعدها، وتجلّى ذلك في رد الودائع إلى أصحابها عند الهجرة على الرغم من عداوتهم له. ويؤكد هذا الموقف أن الالتزام بالقيم لا يتغير بتغير الظروف، وأن الأمانة تشمل اليوم أداء الوظائف، وصيانة المال العام، وحفظ الحقوق، والوفاء بالعهود.

وإلى جانب ذلك، أرست السيرة مبدأ احترام الكرامة الإنسانية، وحسن معاملة الناس، لا سيما داخل الأسرة، فقال صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)⁽³⁾. ويؤكد هذا التوجيه أن الأخلاق الحقيقية تظهر في المعاملة اليومية، وأن بناء المجتمع يبدأ من الأسرة، ويتسع ليشمل احترام الإنسان، وصيانة حقوقه دون تمييز.

1. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار.

2. ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ج3.

3. سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وهكذا تقدم السيرة النبوية منظومة أخلاقية متكاملة، لا تنفصل فيها الرحمة عن العدل، ولا الأمانة عن المسؤولية، ولا العبادة عن حسن المعاملة، وهو ما يجعلها مرجعاً دائماً في بناء الإنسان وإصلاح المجتمع.

القيم النبوية وأثرها في بناء الفرد والمجتمع المعاصر:

تجاوز السيرة النبوية كونها سجلاً تاريخياً للأحداث؛ فهي منهج متجدد لبناء الإنسان وإصلاح المجتمع، يقوم على ترسيخ القيم التي تحفظ الحقوق، وتعزز المسؤولية، وتحقق التوازن بين متطلبات الفرد والجماعة. ويؤكد الشيخ محمد الغزالي أن السيرة ليست وقائع من الماضي، وإنما مدرسة لتكوين الإنسان وإحياء الضمير، وأن النهضة الحقيقية تبدأ بإحياء مقاصدها في واقع الحياة⁽¹⁾.

ويأتي الصدق في مقدمة هذه القيم؛ فقد عُرف النبي، صلى الله عليه وسلم، بين قومه بالصادق الأمين قبل البعثة، وكانت هذه المصداقية أساس قبول دعوته، كما ظهر في قوله لقومه: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، صَدَقْتُمُونِي؟ قَالُوا: نَعَمْ»⁽²⁾.

ويبرز هذا الموقف أن الثقة تُبنى بالصدق، وأن استقرار المجتمعات يعتمد على وضوح الكلمة، وأمانة المعلومة، والوفاء بالوعود، وهي قيم تزداد أهميتها في عصر يتسارع فيه تطور وسائل الاتصال، وتنتشر فيه الأخبار المضللة.

كما رسخت السيرة مبدأ المسؤولية الفردية والمجتمعية، من خلال قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»⁽³⁾، وهو مبدأ يشمل الأسرة،

1. الغزالي، فقه السيرة، ص 15-18.

2. مسند أحمد، ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

3. صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن.

والعمل، والإدارة، والمال العام، ويغرس الرقابة الذاتية بوصفها أساسًا للإتقان والنزاهة وخدمة المجتمع.

وقدمت السيرة كذلك نموذجًا رائدًا في إدارة الاختلاف والتعايش، قائمًا على العدل، واحترام الحقوق، والوفاء بالعهود، كما تجسد في وثيقة المدينة، وفي قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (المتحنة: 8). ويؤكد هذا المنهج أن الاختلاف لا يبرر الظلم أو الاعتداء، بل ينبغي أن يدار بالحكمة والعدل، بما يحفظ السلم المجتمعي، والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة: 8).

كما أبرزت السيرة أهمية الثبات على المبادئ في أوقات الشدة، إذ لم تدفع المحن والابتلاءات النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى التخلي عن قيمه أو تجاوز حدود العدل والرحمة، ما يجعلها نموذجًا عمليًا في مواجهة التحديات الأخلاقية والفكرية التي تشهدها المجتمعات المعاصرة.

ومن ثم، فإن استحضار السيرة النبوية ينبغي أن يتحول إلى مشروع تربوي ومعرفي دائم، يستلهم مقاصدها الكلية، ويترجمها إلى ممارسات عملية في التربية، والعمل، والإدارة، والعلاقات الإنسانية. فالأمر لا تنهض بالاعتزاز بتاريخها وحده، وإنما بقدرتها على استلها م قيمه في بناء الحاضر وصناعة المستقبل.

الخاتمة:

تؤكد السيرة النبوية على أن رسالة الإسلام قامت على بناء الإنسان قبل بناء العمران، وأن القيم التي جسدها النبي، صلى الله عليه وسلم، وفي مقدمتها الرحمة، والعدل، والأمانة، والصدق، والمسؤولية، تمثل الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات المستقرة والمتماسكة.

ويمثل المولد النبوي الشريف مناسبة لتجديد الارتباط بهذه القيم، واستحضار السيرة بوصفها منهجاً عملياً للإصلاح، لا مجرد أحداث تاريخية تُروى. فالمحبة الصادقة للنبي، صلى الله عليه وسلم، تتحقق باتباع هديه، وترجمة أخلاقه إلى واقع عملي، والله تعالى يقول: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} (آل عمران: 31).

وفي ظل ما يشهده العالم من تحديات أخلاقية وفكرية واجتماعية، تظل السيرة النبوية مصدراً متجدداً للهداية والإصلاح، بما تقدمه من مبادئ قادرة على بناء الإنسان، وتعزيز المسؤولية، وترسيخ قيم العدل والرحمة والتعايش. ومن ثم، فإن أعظم صور الاحتفاء بالمولد النبوي تتمثل في إحياء هذه القيم في الفكر والسلوك، لتبقى السيرة النبوية منهجاً حياً يسهم في بناء الفرد والمجتمع في كل زمان ومكان.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

1. البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة.
2. مسلم، مسلم بن الحجاج. (د.ت). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي.
3. الترمذي، محمد بن عيسى. (1998). سنن الترمذي. تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي.
4. الغزالي، أبو حامد. (د.ت). إحياء علوم الدين. دار المعرفة، بيروت.
5. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (1994). زاد المعاد في هدي خير العباد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت.
6. ابن عاشور، محمد الطاهر. (2004). مقاصد الشريعة الإسلامية. تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
7. الغزالي، محمد. (2005). فقه السيرة. دار الشروق، القاهرة.



ماذا يحتاج واقعنا من السيرة النبوية؟

أ. مهدي اسليم / باحث شرعي - دائرة الإفتاء / محافظة طوباس

تعيش الأمة الإسلامية اليوم تحدياتٍ متشابكةً على مستوى الفكر والأخلاق والسلوك، وتواجه اضطراباً في المفاهيم، وضعفاً في اليقين، وخللاً في بناء الإنسان وعلاقته بربه وبالناس، ومع هذا الواقع المتسارع، أصبح كثيرٌ من الناس يبحثون عن الطمأنينة في غير موضعها، وعن الحلول في مناهج بشرية قاصرة، بينما يملكون بين أيديهم أعظم نموذج رباني عرفته البشرية، وهو سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم. إن سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، ليست مجرد أحداث تاريخية تُروى، ولا مواقف عاطفية تُستحضر في المناسبات، بل هي منهج متكامل لبناء الإنسان، وإصلاح المجتمع، وتقويم الأخلاق، وترسيخ معاني الإيمان والرحمة والعدل والثبات. ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: 21)، فجعل الاقتداء به سبيلاً للهداية والصلاح.

وقد أدرك العلماء عبر العصور أن حاجة الأمة إلى سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، ليست حاجة معرفية فحسب، بل حاجة إصلاحية وتربوية وحضارية. قال ابن القيم: "فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ،

وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى التَّفْصِيلِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلَا يُنَالُ رِضَا اللَّهِ الْبَتَّةَ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالطَّيِّبُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَيْسَ إِلَّا هَدْيُهُمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمْ الْمِيزَانُ الرَّاجِحُ الَّذِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْأَعْمَالُ، وَبِمَتَابَعَتِهِمْ يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إِلَى رُوحِهِ، وَالْعَيْنِ إِلَى نُورِهَا، وَالرُّوحِ إِلَى حَيَاتِهَا⁽¹⁾.

أخلاق النبي، صلى الله عليه وسلم:

أخلاق النبي، صلى الله عليه وسلم، من أهم الأمور التي ينبغي التذكير بها بين الفترة والأخرى؛ لأن الأخلاق في كثير من المجتمعات أصبحت شعاراتٍ تُرفع لا سلوكًا يُعاش، وضعفت معاني الرحمة، والصدق، والحلم، والأمانة، وحسن التعامل، حتى بات الناس يعانون من قسوة في العلاقات، وجفاء في الخطاب، وأناية طاغية في التعاملات.

لقد أثنى الله تعالى على نبيه، صلى الله عليه وسلم، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4)، فكانت أخلاقه، صلى الله عليه وسلم، نموذجًا ربانيًا متكاملًا في التعامل مع القريب والبعيد، والصديق والعدو، والضعيف والقوي. قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»⁽²⁾، ما يدل على أن الأخلاق ليست جانبًا ثانويًا في الدين، بل من أعظم مقاصد الرسالة النبوية.

وقد كان، صلى الله عليه وسلم، أصدق الناس حديثًا، وأعظمهم حلمًا، وأكثرهم

1. زاد المعاد لابن القيم (1/ 68).

2. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رضي الله عنه، وصححه الأرئووط.

تواضعًا ورحمةً وعفوًا، حتى قالت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، رضي الله عنها: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا»⁽¹⁾. وقال ابن القيم: «الدين كله خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في الدين»⁽²⁾، وإن الأمة اليوم لا تحتاج إلى كثرة الكلام عن الأخلاق بقدر حاجتها إلى إحيائها واقعًا وسلوكًا؛ لأن صلاح المجتمعات يبدأ من صلاح الأخلاق، وإذا ضاعت الأخلاق ضاع معها الأمن والرحمة والاستقرار.

الرحمة النبوية:

الرحمة النبوية من أهم الأخلاق التي نفتقدها في هذا الزمان؛ ففي زمنٍ كثرت فيه القسوة، واشتدَّت فيه الخصومات، وغلبت الماديات على كثير من العلاقات، أصبحت النفوس متعطشة إلى الرحمة الحقيقية التي جاء بها النبي، صلى الله عليه وسلم.، لقد وصف الله رسوله، صلى الله عليه وسلم، بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، فجعل رسالته قائمة على الرحمة بالناس جميعًا، مؤمنهم وكافرهم، قرييهم وبعييدهم.

ولقد كانت رحمته، صلى الله عليه وسلم، تظهر في تفاصيل حياته كلها؛ يرحم الصغير، ويوقر الكبير، ويعفو عمَّن ظلمه، ويخفف عن الناس المشقة، حتى قال صلى الله عليه وسلم: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي

1. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مباحثته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

2. مدارج السالكين لابن القيم (2/ 294).

السَّمَاء»⁽¹⁾. ولما رأى الأعرابيُّ النبيَّ، صلى الله عليه وسلم، يُقَبَّلُ الحسن والحسين، قال: "إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمْ"⁽²⁾.

ورحمته، صلى الله عليه وسلم، بلغت أنه كان لا يطيل السجود رحمةً بالحسن والحسين، ويخفف الصلاة إذا سمع بكاء الصبي رحمةً بأمه. قال ابن القيم: "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أُدْخِلَتْ فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله، صلى الله عليه وسلم، أتم دلالة وأصدقها."⁽³⁾

وتشتد الحاجة إلى إحياء خُلُق الرحمة في البيوت، ومؤسسات التربية، وميادين الدعوة، وخطاب الناس بعضهم مع بعض؛ فالرحمة ليست مظهرًا من مظاهر الضعف، وإنما هي خُلُق الأنبياء، وعنوان كمال الإيمان، وبها تلين القلوب، وتستقيم العلاقات، وتصلح المجتمعات.

1. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في رحمة المسلمين، قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح.

2. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته.

3. إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (1/ 195).

القُدوة العملية:

إن الأزمات الأخلاقية والتربوية التي تعاني منها المجتمعات لا تُعالج بكثرة الخطب والمواعظ وحدها، وإنما بإحياء النماذج العملية التي يرى الناس فيها الدين متجسداً في السلوك والمعاملة، ولهذا جعل الله تعالى نبيه، صلى الله عليه وسلم، قدوةً للأمة كلها فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: 21)، أي: نموذجاً كاملاً يُقتدى به في العبادة، والأخلاق، والصبر، والتعامل، والقيادة، وسائر شؤون الحياة.

ولم يكن النبي، صلى الله عليه وسلم، يعلم الناس بالكلام فقط، بل كان يربّيهم بأفعاله قبل أقواله؛ فكان أصدق الناس حديثاً، وأعظمهم تواضعاً، وأحسنهم عشرةً، حتى قالت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةٍ أَهْلِهِ»⁽¹⁾، وكان، صلى الله عليه وسلم، يبدأ بنفسه قبل أن يأمر غيره، ويصبر على ما يدعو الناس إليه، ولذلك دخلت كلماته القلوب؛ لأن الناس رأَت حقيقتها في حياته. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ هذه الآية أصلٌ كبير في التأسي برسول الله، صلى الله عليه وسلم، في أقواله وأفعاله وأحواله.⁽²⁾ والأمة اليوم لا تحتاج فقط إلى من يتحدث عن القيم، بل إلى من يعيشها، لأن القدوة الصالحة تصنع أجيالاً، بينما الكلمات وحدها قد تُسمع ثم تُنسى.

1. صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب خدمة الرجل في أهله.

2. تفسير ابن كثير (6/ 170).

اليقين والثبات:

لقد كثرت في هذا الزمن الفتن، واضطربت القلوب، وسيطر القلق والخوف على كثير من الناس، وأصبحت النفوس بحاجة إلى الإيمان الذي يزرع الطمأنينة، ويمنح صاحبه قوةً عند الشدائد.

وقد ربّى النبي، صلى الله عليه وسلم، أصحابه على اليقين حتى في أصعب اللحظات؛ ففي الهجرة، حين أحاط المشركون بالغار، قال لأبي بكر، رضي الله عنه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: 40)، فكانت كلماتٍ صنعت طمأنينةً في قلبٍ تحيط به الأخطار من كل جانب. وكان صلى الله عليه وسلم، يغرس في أصحابه الثبات وعدم الانهيار أمام الابتلاء، فقال: «وَأَعْلَمُ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».*

وقد وصف الله المؤمنين الصادقين بقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: 173). وإن الأمة اليوم لا ينقصها كثرة الوسائل بقدر ما ينقصها اليقين الذي يثبتها عند الفتن، ويجعلها ترى الأمل في أشد لحظات الظلام؛ لأن القلوب إذا امتلأت بالله هانت أمامها المخاوف، وصغرت في أعينها الشدائد.

فهم معنى العبادة:

لقد اختزل كثير من الناس العبادة في شعائر محدودة تؤدي في أوقات معينة،

* رواه أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وصححه الأرنبوط.

بينما جاء الإسلام ليجعل حياة الإنسان كلها عبودية لله تعالى، فالعبادة في حقيقتها ليست مجرد صلاة وصيام، بل هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كما قرر ذلك ابن تيمية⁽¹⁾، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 162)، فجعل الحياة كلها لله، لا جانب العبادة الشعائرية فقط.

وقد حرص النبي، صلى الله عليه وسلم، على تعليم أصحابه هذا المعنى الشامل؛ فكان يربطهم بالله في العمل، والتعامل، والرحمة، والأمانة، والسعي، حتى قال صلى الله عليه وسلم: «وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»⁽²⁾، ليدل على أن الأعمال العادية تتحول إلى عبادة بالنية الصالحة. وقال صلى الله عليه وسلم، أيضاً: «وَأَعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»⁽³⁾، إشارةً إلى أن العبودية ليست مواسم عابرة، بل استقامة دائمة ومنهج حياة. قال ابن تيمية: "العبودية تجمع كمال الحب مع كمال الذل لله تعالى"⁽⁴⁾.

ومن أعظم أزمات الواقع المعاصر وجود انفصال بين العبادة والسلوك؛ فترى من يعبد الله بالشعائر، ثم يسيء في أخلاقه ومعاملاته، بينما السيرة النبوية كانت تقدم نموذجاً متكاملًا لعبودية تُصلح القلب، وتنعكس أثرًا في الإنسان والمجتمع والحياة كلها.

1. مجموع الفتاوى لابن تيمية (10/ 149).

2. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

3. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل.

4. جامع الرسائل لابن تيمية (2/ 284).

في ختام هذا الحديث، يتبين أن حاجة الأمة إلى سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، اليوم ليست حاجةً معرفيةً أو تاريخيةً فحسب، بل هي حاجة وجودية وإصلاحية تمسّ القلوب والعقول والحياة بأكملها. فواقعنا المليء بالاضطراب والقلق والتفكك الأخلاقي لا يمكن أن يُعالج إلا بالعودة الصادقة إلى النور الذي جاء به رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ نور الرحمة، والأخلاق، واليقين، والعدل، والعبودية الحقة لله تعالى.

لقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم، مشروع إصلاحٍ كاملٍ للإنسان، يبني القلب قبل المظهر، ويقىم القيم قبل المصالح، ويصنع أمةً متماسكةً بالإيمان قبل القوة المادية. ولهذا فإن أعظم احتفاءً بالنبي، صلى الله عليه وسلم، ليس بكثرة الكلام عنه، وإنما بإحياء سنته في النفوس والبيوت والمعاملات والواقع. قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: 158)، فالهداية الحقيقية، وصلاح الأمة، ونجاة الفرد، كلها مرتبطة بصدق الاتباع لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، ظاهراً وباطناً. وما أحوجنا اليوم إلى أن نعود إلى السيرة لا لنقرأها فقط، بل لنعيشها منهجاً يغيّر القلوب، ويعيد للأمة روحها وهويتها ورسالتها.



ذكرى المولد النبوي واستشعار مكانة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في قلوب المسلمين

أ. شريف مفارحة / باحث شرعي / دائرة البحوث الشرعية

تحتل شخصية نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، مكانة عظيمة في قلوب المسلمين في أنحاء العالم جميعه، فهو نبي الرحمة، ورسول الهداية، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وقد ارتبط حب المسلمين للنبي، صلى الله عليه وسلم، بعقيدتهم وإيمانهم ارتباطاً وثيقاً، حتى أصبحت محبته جزءاً أساسياً من الإيمان الصحيح، فالمسلم يرى في النبي، صلى الله عليه وسلم، القدوة الحسنة، والمعلم الأول، والرحمة المهداة للبشرية، ولذلك بقيت سيرته العطرة حاضرة في القلوب والعقول عبر القرون.

لقد بعث الله تعالى النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، في زمن انتشرت فيه الجاهلية والظلم والتفرقة، فكان نوراً أضاء للناس طريق الحق والخير، وقد وصف الله تعالى رسوله الكريم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وهي آية تؤكد أن رسالته لم تكن خاصة بقوم أو زمان، بل رسالة رحمة للبشرية كلها، كما بين القرآن الكريم مكانته العالية عند المؤمنين بقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: 6)، أي أن محبته وطاعته مقدمتان على هوى النفس ورغباتها.

وتظهر مكانة النبي، صلى الله عليه وسلم، في قلوب المسلمين من خلال تعلقهم الشديد بسيرته وأقواله وأفعاله، فالمسلمون يقتدون به في عباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم اليومية، وقد كان، صلى الله عليه وسلم، مثلاً عظيماً في الصدق والأمانة والرحمة والتواضع والصبر، حتى لُقّب قبل البعثة بالصادق الأمين، وعندما سُئلت السيدة عائشة، رضي الله عنها، عن خلقه، قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»⁽¹⁾، أي أنه كان تطبيقاً عملياً لتعاليم القرآن الكريم في حياته كلها، وفي كل سنة من ذكرى مولده نستذكر نعمة ربنا العظيمة علينا بقدومه، وزداد محبةً له وتمسكاً بسنته وأخلاقه.

نماذج من محبة الصحابة لرسول الله، عليه الصلاة والسلام:

كان الصحابة، رضوان الله عليهم، يحبّون سيدنا محمداً، صلى الله عليه وسلم، حباً عظيماً، وظهرت هذه المحبة في مواقف كثيرة من حياتهم، ومن نماذجها:

1. أبو بكر الصديق في الهجرة:

عندما هاجر سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، مع أبي بكر الصديق إلى غار ثور، كان أبو بكر يخاف على النبي، صلى الله عليه وسلم، أكثر من خوفه على نفسه، فكان يسدّ الثقوب في الغار حتى لا يخرج منها ما يؤذي الرسول، صلى الله عليه وسلم، ولما لدغ من قدمه صبر حتى لا يوقظ النبي، صلى الله عليه وسلم.⁽²⁾

1. مسند أحمد، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، وقال الأرنبوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

2. مشكاة المصابيح، باب مناقب أبي بكر: 2/ 556.

2. حب بلال للنبي، صلى الله عليه وسلم، عند الوفاة:

عند وفاة سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وبعدها، حزن بلال بن رباح حزناً شديداً، ولم يستطع البقاء في المدينة، ولم يؤذن لأحد بعد وفاة النبي، عليه الصلاة والسلام، من شدة بكائه عليه وحبه له، قال سعيد بن عبد العزيز، وابن جابر، وغيرهما: "إنه لم يؤذن لأحد بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولما أذن يوماً فلم ير يوماً كان أكثر باكياً من يومئذ ذكراً منهم للنبي، صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، وعن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: "قدمنا الشام مع عمر؛ فأذن بلال؛ فذكر الناس النبي، صلى الله عليه وسلم؛ فلم أر يوماً أشدَّ باكياً منه"⁽²⁾.

3. دفاع طلحة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم أُحد:

في غزوة أُحد وقف طلحة بن عبيد الله يدافع عن سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، حتى أصيبت يده، وشُلَّت بعض أصابعه من كثرة الضربات⁽³⁾، وعن الزبير، قال: (كَانَ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: أَوْجَبَ طَلْحَةُ، أَي

وجب له الجنة.⁽⁴⁾

1. الذهبي في سير أعلام النبلاء: 1 / 357 - 358.

2. أخرجه البخاري في التاريخ الصغير: 1 / 78.

3. سير أعلام النبلاء للذهبي: 1 / 25.

4. سنن الترمذي، كتاب الجهاد، بَابُ مَا جَاءَ فِي الدَّرْعِ، وحسنه الألباني.

4. المرأة التي فقدت أهلها في أحد:

جاءت امرأة من الأنصار يوم أحد وقد استشهد أبوها وأخوها وزوجها، فكان الناس يخبرونها بموتهم، لكنها كانت تسأل: "ما فعل رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ فلما رآته قالت: (كل مصيبة بعدك جلل)" أي هينة ما دام النبي، صلى الله عليه وسلم، بخير.⁽¹⁾

5. زيد بن الدثنة قبل استشهاده:

أمسك المشركون زيد بن الدثنة قبل قتله، فقال له أبو سفيان: "أحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا، والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه! فضحكوا منه".⁽²⁾

6. شوق الصحابة إلى رؤية النبي، عليه الصلاة والسلام:

كان الصحابة يتبركون بآثار سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، فإذا توضعوا اقتتلوا على ماء وضوئه من شدة محبتهم له، ففي الحديث النبوي الشريف: «وَإِذَا تَوَضَّأَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ»⁽³⁾.

هذه النماذج وغيرها كثير تدل على عظمة مكانة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، في قلوب أصحابه، فقد أحبوه أكثر من أنفسهم وأموالهم وأهليهم، وكانوا يرون التضحية لأجله شرفاً عظيماً.

1. السيرة النبوية لابن هشام: 2/ 99.

2. السيرة النبوية لابن كثير: 3/ 131.

3. صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب منه.

إن محبة النبي، صلى الله عليه وسلم، ليست مجرد كلمات تُقال، بل هي محبة حقيقية تظهر في اتباع سنته والافتداء بهديه، فقد قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(*)، وهذا الحديث يبين أن كمال الإيمان لا يتحقق إلا بمحبة النبي، صلى الله عليه وسلم، محبة صادقة تفوق محبة البشر جميعاً، ولذلك كان الصحابة، رضي الله عنهم، يضحون بأنفسهم دفاعاً عنه، ويعدون رضاه أعلى من كل شيء في الدنيا.

مظاهر مكانة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في قلوب المسلمين:

لقد تجلت هذه المحبة العظيمة في مواقف كثيرة من حياة الصحابة وهم يدافعون عنه في الغزوات وغيرها، الأمر الذي يدل على عمق الحب الذي امتلأت به قلوبهم تجاهه، صلى الله عليه وسلم.

كما أن المسلمين يعبرون عن محبتهم للنبي، صلى الله عليه وسلم، بالإكثار من الصلاة والسلام عليه، تنفيذاً لأمر الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 56)، فالصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، تزيد المحبة في القلوب، وتقرب المسلم من أخلاقه وسيرته، ولذلك يحرص المسلمون على ترديدها في مجالسهم وخطبهم وأدعيتهم.

ومن مظاهر مكانته في قلوب المسلمين اهتمامهم الكبير بسيرته العطرة، حيث

* صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان.

تُدرّس السيرة النبوية في المدارس والجامعات والمساجد، ويتعلم منها الناس معاني الصبر والرحمة والعدل والشجاعة، فالنبي، صلى الله عليه وسلم، لم يكن قائدًا دينيًا فقط، بل كان قائدًا سياسيًا وعسكريًا واجتماعيًا ناجحًا استطاع أن يبني أمة عظيمة على أساس الإيمان والأخلاق، وقد استطاع خلال سنوات قليلة أن يحول مجتمعًا مليئًا بالجهل والتعصب، إلى مجتمع قائم على العدالة والتعاون والمحبة.

كما أن المسلمين يرون في النبي، صلى الله عليه وسلم، النموذج الكامل للإنسانية، فقد كان رحيماً بالكبير والصغير، غنياً وفقيراً، مسلماً وغير مسلم، ومن أعظم الأمثلة على رحمته موقفه مع أهل الطائف عندما آذوه ورموه بالحجارة حتى سال دمه الشريف، فعرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الجبلين، لكنه قال: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(*)، وهذا الموقف يبين عظمة رحمته وحلمه، ويجعل المسلمين يزدادون حباً له وإعجاباً بأخلاقه السامية.

ومن الأمور التي تزيد مكانة النبي، صلى الله عليه وسلم، في قلوب المسلمين أنه كان شديد الحرص على أمته، يخاف عليها من الضلال والعذاب، ويدعو لها دائماً بالخير والرحمة، وقد وصفه الله تعالى بقوله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} (التوبة: 128)، وهذه الآية الكريمة تظهر مدى شفقتة على المؤمنين واهتمامه بأحوالهم.

* صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه.

ولم تقتصر محبة النبي، صلى الله عليه وسلم، على جيل الصحابة فقط، بل استمرت عبر العصور، وما زال المسلمون حتى اليوم يفرحون بذكره، ويقتدون بسنته، ويدافعون عنه بكل حب وإخلاص، وفي ذكرى مولده، صلى الله عليه وسلم، يزداد الحديث عن سيرته وأخلاقه العظيمة، ويحرص الناس على قراءة القرآن، والصلاة عليه، وإقامة المجالس التي تُذكرُ بفضائله وصفاته الكريمة.

وقد اهتم الشعراء والأدباء عبر التاريخ بمدح النبي، صلى الله عليه وسلم، والتعبير عن محبتهم له، فكتبوا القصائد الجميلة التي تصف أخلاقه وشجاعته ورحمته، ومن أشهر ما قيل فيه قصيدة للشاعر أحمد شوقي مطلعها:

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءٌ

وهذه القصيدة تعبر عن الفرح العظيم الذي عمّ العالم بمولد النبي، صلى الله عليه وسلم، وعن أثره الكبير في هداية البشرية.

إن مكانة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، في قلوب المسلمين ليست مجرد عاطفة مؤقتة، بل هي عقيدة راسخة تنبع من الإيمان بالله ورسوله، فالمسلم الحقيقي يسعى إلى الاقتداء بالنبي، صلى الله عليه وسلم، في أخلاقه وأعماله، ويتعلم من سيرته كيف يكون الصبر والتسامح والرحمة وحسن التعامل مع الناس، كما أن محبته، صلى الله عليه وسلم، تدفع المسلمين إلى التمسك بالقيم النبيلة والابتعاد عن الظلم والكراهية.

خاتمة:

وفي الختام، فإن في ذكرى مولد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، نستشعر أنه أعظم شخصية عرفت بها البشرية، لأنه أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وغرس في قلوبهم معاني الإيمان والمحبة والعدل، وستظل محبته حية في قلوب المسلمين إلى يوم القيامة، فهم يرون فيه القدوة المثالية، والرحمة المهداة للعالمين، ولذلك فإن أعظم طريقة للتعبير عن حب النبي، صلى الله عليه وسلم، هي اتباع سنته، والتأسي بأخلاقه، ونشر الخير والمحبة بين الناس، حتى تبقى رسالته نوراً يهدي الإنسانية كلها نحو الخير والسلام.

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. إتمام الصف في الصلاة

السؤال: في صلاة الجماعة في المسجد، يأتي أحد المصلين ويجد الصف قد اكتمل، فيفتتح صفًا جديدًا وحده، وبعد الركعة الأولى وخلال الركعة الثانية، يتراص المصلون في الصف الأول، فيترتب على ذلك مجالٌ لمصلٍ جديدٍ بينهم، ثم يأتي مصلٌّ آخر متأخر، ويجد هناك فراغًا في الصف الأول فيقف فيه تاركًا المصلي في الصف المنفرد وحده، فما حكم ذلك؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد أولى الإسلام صفوف المصلين عناية كبيرة، حيث أمر بتسوية الصفوف، وأظهر فضيلة تسويتها، والاهتمام بها، فعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، عن النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ، مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ" (*) واستواء الصَّفِّ بمعنى كماله؛ ومن ذلك إكمال الأول فالأول، فإنَّ هذا من استواء

* صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل وتقريبهم من الإمام.

الصفوف، فلا يُشرع في الصفِّ الثاني حتى يكْمَلَ الصفُّ الأول، ولا يُشرع في الثالث حتى يكْمَلَ الثاني وهكذا، ومن تسوية الصفوف كذلك، التقاربُ فيما بينها، وفيما بينها وبين الإمام؛ لأنهم جماعةٌ، والجماعةُ مأخوذةٌ من الاجتماع، ولا اجتماع كامل مع التباعد، فكلما قَرَبَت الصفوفُ بعضها إلى بعض، وقَرَبَت إلى الإمام كان أفضل. وعليه؛ فينبغي تراص المصلين في الصفوف، بمعنى التقارب فيما بينهم، وعدم ترك فُرَج، حتى يكتمل الصف في حالاته جميعها، وإن وجد فراغ في الصف في أي وقت، فينبغي إتمامه إن وجد مجال لذلك.

2. حكم حذف بيانات صلاحية المنتجات، لتسليك المعاملات، ودفع

الضرائب المستحقة في وقتها

السؤال: أعمل في مكتب محاسبة، وأحياناً نعمل على حذف جملة: "صالحة لتاريخ كذا" لرقم المشتغل المرخص، علماً أنه سيتم التجديد بالرقم المشتغل المرخص ذاته، وأيضاً إضافة ختم إلى معاملة تخليص جمركي بسبب الأوضاع الصعبة التي نمر بها، ما يجعل الأمر صعباً في الحصول على ختم الهيئة المعنية بذلك، والهدف من ذلك دفع الضرائب المستحقة في وقتها، دون التلاعب في المنتجات وصلاحياتها الفعلية، أو المبلغ المستحق بالضبط، والذي يجب دفعه للضريبة، فما حكم ذلك؟

الجواب: حذف بيانات صلاحية المنتجات أو تزويرها محرم شرعاً، ويُعد من الغش والتدليس المحظور، ورَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يقول: "مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ

مِنِّي" (*)، كما أن في هذا الحذف مخالفة قانونية جسيمة.

* صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي، صلى الله تعالى عليه وسلم: «من غشنا فليس منا».

وعليه؛ فلا يجوز التحايل بهذه الطرق لأي سبب كان، سواء أكان لقضاء معاملات، أم من أجل دفع الضرائب المستحقة في وقتها، أم غير ذلك، فهذا لا يسوغ ارتكاب مَحْظُورِي الغش والتزوير.

3. حكم عمل المرأة معلمة في مدرسة مختلطة فيها طلاب بالغون

السؤال: ما حكم عمل زوجتي معلمة في مدرسة مختلطة فيها طلاب بالغون لغاية

الصف التاسع؟

الجواب: الأولى أن تعلم المرأة البنات، ويعلم الرجل الذكور، ويشترط لتعليمها

الذكور البالغين التزامها بالضوابط الآتية:

- 1 - أن تخرج بإذن والديها، أو زوجها، أو وليها.
- 2 - أن تتجنب الخلوة بالرجال الأجانب، والمقصود بالخلوة المنهي عنها: أن يجتمع رجل وامرأة أجنبيان عن بعض في مكان يأمان فيه من دخول ثالث.
- 3 - ستر العورات، والالتزام باللباس الشرعي، الواسع الفضفاض الذي لا يصف ولا يشف، بمعنى أن يكون سميكاً فضفاضاً لا يظهر تفاصيل جسم المرأة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلْأَزْوَاجِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (الأحزاب: 59).

4 - أن تلتزم بأخلاق الإسلام وقيمه، ومنها غض البصر، قال الله تعالى: {وَقُلْ

لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ...} (النور: 31).

5 - ألا تضيّع من تعول من أولادها، ولا تقصّر في حقوق زوجها ووالديها.

6 - أن لا تكون هناك مماسة بين الجنسين^(*).

وعليه؛ فإذا التزمت المعلمة بالضوابط الشرعية المذكورة عند تعليمها الذكور البالغين، فيكون عملها مباحاً بإذن الله، وإلا فلا.

4. الجوائز الممنوحة على أيقونات الإعجاب أو كتابة تعليق على

منشورات مواقع التواصل الاجتماعي

السؤال: يقوم بعض صنّاع المحتوى على مواقع التواصل الاجتماعي بتنظيم سحبات على جوائز معينة؛ مشروطة بالضغط على أيقونة الإعجاب، أو كتابة تعليق على المنشور، فما حكم ذلك؟

الجواب: لا حرج في تنظيم سحبات وترتيب جوائز بهدف ترويج السلع المباحة عبر مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، وذلك من باب تشجيع الجمهور على التعاطي مع المحتوى المنشور، شريطة أن يكون هادفاً غير مشتمل على مخالفات شرعية، وأن تكون هذه السحوبات دون رسوم تفرض على الشخص المعجّب بها، أو المعلق عليها. أمّا إذا ترتّب على السحوبات استحقاقات مالية ويلزم بها المتابع؛ فالأصل أنه يحرم إعطاء جوائز من قبل صنّاع المحتوى عن طريق دفع المتابع استحقاقات مالية إضافية؛ لأن ذلك يُعد من باب الميسر المحرم.

وعليه؛ فيجوز إعطاء جوائز تحفيزية من باب الهدايا والهبات، وبخاصة إذا كان المحتوى المذكور يحقق هدفاً مشروعاً ومباحاً، من خلال نشر ما هو نافع ومفيد

* الموسوعة الفقهية: 290/ 2.

للجمهور عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، شريطة أن لا تقدم الجائزة من أموال المتابعين، وأن لا يدفع المتابع أي استحقاقات مالية خاصة بالاشتراك في عملية السحب على الجوائز؛ لأن ذلك يُعد من باب الميسر المحرم.

5. حكم وضع مجسمات حيوانات في المنزل

السؤال: أحب الخيول وبعض أنواع الحيوانات كالغزلان، وأرغب في وضع مجسم لحصان أو غزال في منزلي، فما حكم ذلك؟

الجواب: ذهب الجمهور إلى جواز رسم ما لا روح له كالشجر، والحجر، والشمس، والقمر، واقتنائه وتعليقه وبيعه، أما بالنسبة إلى صناعة الصور المجسمة والتمثيل، ورسم ذوات الأرواح المكتملة، التي لها ظل، فقد أجمع الجمهور على تحريمها، قال النووي: "وأجمعوا على منع ما كان له ظل، ووجوب تغييره"⁽¹⁾، واستثنوا من ذلك ما كان مصنوعاً لعبة للصغار، أو كان ممتهنّاً كالبساط والوسادة، أو مقطوعاً منه جزء لا يعيش دونه، أو كان مما لا يدوم؛ كصور الحلوى أو العجين.

ومن حكمة هذا التحريم أن في صنع هذه التماثيل مضاهاة، وتشبيهاً بخلق الله تعالى، وعائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ»، وفي رواية: «الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ»⁽²⁾.

وعليه؛ فلا يجوز شرعاً اقتناء مثل هذه التماثيل، أو بيعها، أو شراؤها، وينبغي

1. صحيح مسلم بشرح النووي: 82/ 14.

2. صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة.

تجنب شراء المجسمات كتماثيل الحيوانات واقتنائها، والاكتفاء بما لا روح له كالأبنية، والشجر، والحجر، وغيرها؛ خروجاً من الخلاف، وأخذاً برأي جمهور الفقهاء، وابتعاداً عن شبهة الحرام، وقد ذهب مجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم: 1/ 150 بتاريخ 16 / 3 / 2017م، إلى أنه: "حال انتفاء الضرورة والمصالح المعتبرة، والحاجة إلى هذا النمط من التصوير والتجسيم، فالأولى تجنبه والابتعاد عنه".

6. حكم زرع الرموش

السؤال: ما حكم زرع الرموش؟ علماً أنها غير موصولة بالرمش الأصلي.

الجواب: تشرع زراعة الشعر للضرورة الملحة، ومن ذلك العلاج وإزالة العيوب، مثل التشوهات والحروق والأمراض، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ طَرْقَةَ، "أَنَّ جَدَّهُ عَرْفَجَةَ بْنَ أَسْعَدَ، قُطِعَ أَنْفُهُ يَوْمَ الْكَلَابِ، فَاتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ وَرَقٍ، فَأَتَتْهُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ" (*)، ولغير ذلك تكون تغييراً لخلق الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: {وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمْرَنَّهُمْ فَلَيْبَتَنَّ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَأَمْرَنَّهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا} (النساء: 117 - 119)، وهو ما ذهب إليه مجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم: 1 / 232 بتاريخ 20 / 11 / 2025م.

وعليه؛ فيشترط لإباحة زرع الرموش أن تكون علاجاً لمشكلة خلقية أو آفة مرضية، أو تشوه، وشريطة أن تكون الرموش مصنوعة من مواد طاهرة، وألا تترتب على ذلك أضرار صحية.

* سنن أبي داود، كتاب الخاتم، باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، وحسنه الألباني.

6. طهارة مريض الزهايمر وصلاته

السؤال: أُمِّي تعاني من مرحلة زهايمر متوسطة، ولديها صعوبة في التنقل والمشي، وتعاني من صعوبة في التحكم في البول وتلبس حفاضات، فهل يمكنها جمع الصلاة وقصرها؟ وكيف يكون وضوءها؟

الجواب: النسيان المرضي الذي يعاني منه المصابون بالزهايمر أو الخرف له درجات مختلفة وأحوال، تختلف الأحكام الشرعية باختلافها، وإن بلغ المريض حد فقدان الإدراك والذاكرة، أو لم يكن يتصرف كالعقلاء، فيسقط عنه التكليف، ولا يطالب بالصيام ولا القضاء ولا الصلاة؛ لأن هذه التكاليف تجب على العاقل، أما من فقد الأهلية فلا تجب عليه.

أما إن كان المرض بالنسيان لم يبلغ هذه الدرجة، والمصاب به يدرك معه ويعقل، فإنه يطالب بالصلاة ما دام قادراً عليها، والواجب على من لا يستطيع التحكم في البول أن يتحفظ من النجاسة حتى لا تنتشر، فيجعل قطعة قماش أو حفاضة تمنع وصول النجاسة إلى بدنه وثيابه، ويلزمه عند كل صلاة أن يغسل بدنه من النجاسة، ويغير القماش أو الحفاضة، فإن عجز عن ذلك، فتجوز له الصلاة في هذه الحالة للضرورة مع وجود الحفاضة عليه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وللقاعدة الشرعية المتفق عليها: **"المشقة تجلب التيسير"**^(*)، قال الصاوي المالكي: "من عجز عن إزالتها لعدم ماء طهور، أو لعدم قدرته على إزالتها به، ولم يجد ثوباً غير المتنجس، فإنه

* المنثور في القواعد الفقهية للزركشي: 3/ 169.

يصلي بالنجاسة، وصلاته صحيحة⁽¹⁾

وبالنسبة إلى جمع الصلاة لمن به سلس بول؛ فقد أجاز له بعض العلماء أن يجمع بين صلاتي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، تخفيفاً عنه، واستدلوا بأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رخص لحمته بنت جحش أن تجمع بين الصلاتين وهي مستحاضة⁽²⁾، وصاحب السلس مثلها، قال ابن تيمية، رحمه الله: "ويجمع المريض والمستحاضة"، وقال أيضاً: "ويجمع من لا يمكنه إكمال الطهارة في الوقتين إلا بخرج، كالمستحاضة، وأمثال ذلك من الصور"⁽³⁾.

وعليه؛ فإن كانت والدتك مصابة بنسيان مرضي وصل إلى حد فقدان الذاكرة والإدراك، فلا تلزمها الصلاة؛ لأنها على هذه الحال غير مكلفة بها، أما إن كانت مع مرضها تدرك وتعقل، ولكن لا تتحكم في البول فتكون من أصحاب الأعذار، فتتوضأ لكل صلاة مفروضة، بعد دخول وقتها، وفي هذه الحالة يجوز لها جمع الصلوات عند الحاجة بسبب المشقة والمرض، وينبغي لها أن تتحفظ أو تضع ما يمنع وصول النجاسة إلى ثيابها قدر الإمكان.

1. حاشية الصاوي على الشرح الصغير: 65 / 1.

2. سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب في المستحاضة أنها تجمع بين الصلاتين بغسل واحد، وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني.

3. مجموع فتاوى ابن تيمية: (24 / 14)، (24 / 84).



نفيس القلائد في أحكام النساء القواعد

الشيخ د. أحمد شوباش/مفتي محافظة نابلس/عضو مجلس الإفتاء الأعلى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه
أجمعين وبعد؛

فللنساء أحكام شرعية خاصة بهن، تتعلق باللباس والثياب، كما يتعلق بعضها
بطبيعة التعامل مع الرجال؛ كالخلوة والمصافحة والسلام وغيرها، فهل تكون تلك
الأحكام عامة في النساء جميعهن، أو أن الشرع الحنيف استثنى بعض النساء من تلك
الأحكام؟

العمدة في ذلك على الدليل من الكتاب والسنة، إذ ورد ذكر صنف القواعد من
النساء في قوله تعالى: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ
جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}
(النور: 60).

فما معنى القواعد من النساء؟ وما الأحكام التي تختص بهن استثناء من عموم

النساء؟

معنى القواعد في اللغة والاصطلاح:

القواعد في اللغة: جمع قاعدة، وهي أساس الشيء وأصله، وامرأة قاعدة إن أرادت القعود، وقاعد عن الحيض والأزواج والجمع قواعد⁽¹⁾، ويطلق عليها العجوز أو المسنة، أو المتجالة⁽²⁾ أو البرزة⁽³⁾.

وفي اصطلاح العلماء: العجائز من النساء⁽⁴⁾ أو اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن.⁽⁵⁾

حقيقة المراد بالقواعد، ومعنى وضع الثياب:

يرى أكثر علماء المسلمين أن المقصود بالقواعد العُجُز اللواتي قعدن عن التصرف من السن، وقعدن عن الولد والحيض، قال ربيعة: هي التي إذا رأيتها تستقذرها من كبرها. وقال أبو عبيدة: اللاتي قعدن عن الولد، وليس ذلك بمستقيم؛ لأن المرأة تقعد عن الولد وفيها مستمتع، وقوله تعالى: {فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} إنما خص القواعد بذلك لانصراف الأنفس عنهن، إذ لا مذهب

1. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 5/ 108 - 109، مادة قعد، المحقق: عبد السلام هارون، دار الفكر 1399هـ - 1979م.

2. المتجالة: هي العجوز الفانية التي لا حاجة للرجال بها. العدوي: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، 2/ 411، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي - دار الفكر، بيروت، 1414هـ - 1994م.

3. البرزة: المرأة العفيفة التي تبرز للرجال وتتحدث معهم وقد أسنت وخرجت عن حد المحجوبات. الحموي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 1/ 44، مادة برز، المكتبة العلمية - بيروت.

4. الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 4/ 286، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1412هـ - 1992م.

5. الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، 3/ 253، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1407هـ.

للرجال فيهن، فأبيح لهن ما لم يبح لغيرهن، وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن، وأجاز بعض أهل العلم لها وضع خمارها، وجعلوه معنى وضع الثياب، والصحيح أنها كالشابة في التستر، إلا أن الكبيرة تضع الجلباب الذي يكون فوق الدرع - الفستان - والخمار.

ومعنى "غير متبرجات بزينة" أي غير مظهرات ولا متعرضات بالزينة لينظر إليهن، فإن ذلك من أقبح الأشياء وأبعده عن الحق، والتبرج التكشف والظهور للعيون، ومن ذلك لبس المرأة ثوباً رقيقاً يصفها⁽¹⁾. والخير لهن أن يستعففن بالتستر الكامل كالشابات، وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة.

حكم النظر إلى العجوز:

يباح النظر من العجوز إلى ما يظهر غالباً كاليد والوجه، عملاً بالآية القرآنية: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (النور: 60) فعن ابن عباس أن قوله تعالى: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ} (النور: 31)،

نسخ واستثنى من ذلك: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا} (2).

1. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 12/ 309، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م. ابن العربي: أحكام القرآن، 3/ 418، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ - 2003م.

2. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 6/ 83، المحقق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م. ورواية ابن عباس أخرجها أبو داود في السنن، أول كتاب اللباس، باب قوله تعالى: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ} (النور: 31)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ - 2009م، قال المحقق: إسناده حسن، ولكنه مال إلى القول: إن الآية الثانية لم تنسخ الأولى وإنما خصصتها، وهو الصحيح، والله أعلم.

وعلة ذلك أن ما حرم النظر لأجله معدوم في جهتها، فأشبهت ذوات المحارم⁽¹⁾.
وخالف الغزالي فألحق العجوز بالشابة؛ لأن الشهوة لا تنضبط وهي محل الوطء⁽²⁾،
ورأي الجمهور أقوى، وقول الغزالي أحوط، والله تعالى أعلم.

حكم الخلوة بالعجوز:

الأصل عدم جواز خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية؛ لأن الشيطان يكون ثالثهما،
يوسوس لهما في الخلوة بفعل ما لا يحل، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لَا
يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ)⁽³⁾، ولفظ الرجل يتناول الشاب والشيخ،
ولفظ المرأة يتناول الشابة والمتجالة⁽⁴⁾.

وذهب بعض الحنفية إلى جواز الخلوة بالعجوز الشوهاء، وهي والشيخ الذي لا
يجامع مثله بمنزلة المحارم كما نقل ابن عابدين⁽⁵⁾، وأجاز بعض شيوخ المالكية خلوة
الشيخ الهرم بالمرأة الشابة، أو المتجالة، وخلوة الشاب بالمتجالة⁽⁶⁾.

1. الكاساني: بدائع الصنائع، 5/ 121، دار الكتب العلمية، ط2، 1406هـ - 1986م. النووي: روضة الطالبين وعمدة المفتين، 7/ 24، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق - عمان، ط3، 1412هـ - 1991م. البهوتي: كشف القناع عن متن الإقناع، 5/ 13، دار الكتب العلمية.
2. النووي: روضة الطالبين وعمدة المفتين، 7/ 24.
3. سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات، وصححه الألباني.
4. ابن عابدين: حاشية رد المحتار على الدر المختار، 6/ 368، دار الفكر، بيروت، ط2، 1412هـ - 1992م، النفرواي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، 2/ 337، دار الفكر 1415هـ - 1995م، الجمل: فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، 4/ 125، دار الفكر. المرداوي: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، 8/ 31، دار إحياء التراث العربي، ط2.
5. ابن عابدين: حاشية رد المحتار على الدر المختار، 6/ 368.
6. النفرواي: الفواكه الدواني، 2/ 337.

وضابط الخلوة اجتماع لا تؤمن معه الريبة عادة، بخلاف ما لو قطع بانتفائها عادة،

فلا تعد خلوة.⁽¹⁾

مصافحة العجوز:

اتفق الفقهاء على عدم جواز مس وجه الأجنبية وكفيها - وغيرهما أولى - أو مصافحتها،

وإن كان يأمن الشهوة أو الفتنة، لما ورد عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله،

صلى الله عليه وسلم: (لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمِخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ

امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ).⁽²⁾

أما العجوز فيجوز مس يدها عند أمن الفتنة عند الحنفية والحنابلة⁽³⁾، وذهب

المالكية والشافعية إلى تحريم مس الأجنبية شابة أو عجوزاً.⁽⁴⁾

حكم طرح السلام وردة على العجوز:

يرى جمهور الفقهاء جواز طرح السلام على العجوز، بل يرى بعضهم أنه سنة،

وردها واجب، خلافاً للشابة، خاصة عند خشية الفتنة.⁽⁵⁾

1. الجمل: فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، 4/ 125.

2. المعجم الكبير للطبراني، 20/ 212، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وقال الألباني: صحيح الجامع 2/ 900.

3. العيني: البناية في شرح الهداية، 12/ 134، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ - 2000م. المرداوي: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، 8/ 26. الرحيباني: مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى، 5/ 14، المكتب الإسلامي، ط2، 1415هـ - 1994م.

4. الدسوقي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، 1/ 215، دار الفكر. الشربيني: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، 4/ 215، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ - 1994م.

5. ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار، 6/ 369، النفراوي: الفواكه الدواني، 2/ 323، النووي: روضة الطالبين وعمدة المفتين، 10/ 229 - 230. المرداوي: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، 8/ 31.

والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن سهل قال: (كُنَّا نَفْرَحُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ، تُرْسِلُ إِلَى بُضَاعَةَ - قَالَ ابْنُ مَسْلَمَةَ: نَخْلُ بِالْمَدِينَةِ - فَتَأْخُذُ مِنْ أَصُولِ السَّلَقِ، فَتَطْرَحُهُ فِي قَدْرِ، وَتَكْرِكُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ انْصَرَفْنَا، وَنَسَلَّمُ عَلَيْهَا فَتَقْدِّمُهُ إِلَيْنَا، فَنَفْرَحُ مِنْ أَجْلِهِ، وَمَا كُنَّا نَقِيلُ وَلَا نَتَغَدَّى إِلَّا بَعْدَ الْجُمُعَةِ).⁽¹⁾

ومعنى تكركر: أي تطحن، من الكركرة، وهي الطحن أو الصوت⁽²⁾. وفي الحديث جواز السلام على النسوة الأجانب العجائز.⁽³⁾

حكم تسميت العجوز عند العطاس:

إذا عطست العجوز، فحمدت الله جاز للرجل أن يقول لها: يرحمك الله، والعكس فيما إذا عطس هو، خلافاً للشابة التي يخشى منها الفتنة.⁽⁴⁾

حكم مداواة العجائز الجرحى في الغزو:

يجوز للعجائز أو القواعد من النساء أو المتجالات مداواة الجرحى والمرضى الأجانب، وما شاكلهم، ونقل الموتى في الغزو أو غيره، أما غير المتجالات فيعالجن بغير مس الرجال، فيصفن الدواء ويضعه غيرهن على الجرح أو يضعنه من غير مس شيء من جسد الجريح أو المريض.

1. صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم الرجال على النساء، والنساء على الرجال.

2. المرجع ذاته: 2/ 427.

3. ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، 8/ 369، النفراوي: الفواكه الدواني، 3/ 348. ابن مفلح: الآداب الشرعية، 2/ 341، عالم الكتب.

4. ابن حجر: فتح الباري، 6/ 80. العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 14/ 169، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

حكم عدة العجز القاعد المتوفى عنها زوجها:

قال تعالى في عدة المتوفى زوجها إن لم تكن حاملاً، بل كانت حائلاً: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (البقرة: 234)

فالآية نص صريح في تربص المرأة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام، مع التزام بيتها مدة العدة - إلا لضرورة ليلاً، أو لحاجة أو ضرورة نهاراً، فيباح لها الخروج - وترك الزينة والالتزام بالحداد وتحريم زواجها أو التصريح بخطبتها.

ولفظ {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ} عام يشمل كل من مات زوجها، فهل ورد على الآية نسخ أو تخصيص للقواعد من النساء بتخفيف العدة، أو ترك الالتزام بأحكامها؟

الذي يظهر من كلام العلماء أن لا فرق في وجوب الالتزام بأحكام العدة على النساء جميعهن، من الإحداد، وترك الزينة والتربص، وترك الزواج والخطبة صراحة، وقد نص ابن قدامة على ذلك، فقال: "ولا نعلم بين أهل العلم خلافاً في وجوبه - الإحداد - على المتوفى عنها زوجها، إلا عن الحسن، فإنه قال: لا يجب الإحداد، وهو قول شذبه عن أهل العلم، وخالف به السنة، فلا يعرّج عليه، ويستوي في وجوبه الحرة والأمة والمسلمة والذمية والكبيرة والصغيرة".(*)

وقد أجمع العلماء على وجوب الإحداد على المرأة في عدة الوفاة من نكاح صحيح

* ابن قدامة: المغني، 8/ 154، مكتبة القاهرة، 1388هـ - 1968م.

ولو من غير دخول، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: (لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أَنْ تُحَدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحَدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا).(*)

وبعد، فهذه أبرز الأحكام المتعلقة بالنساء المسنّات أو القواعد، من حيث وضع ثيابها والنظر إليها والخلوة بإحداها ومصافحتها، وتشميتها، والسلام عليها، وحكم لمسها، وعدة وفاة زوجها عنها، أسأل الله التوفيق والقبول.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

* صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إحداث المرأة على غير زوجها.

نظرية تغير الظروف في الفقه الإسلامي، وتطبيقاتها في الجوائح والأعذار

روان الشيخ / باحثة شرعية / دار الإفتاء الفلسطينية

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإنّ من أسمى خصائص الشريعة الإسلامية الغراء مرونتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وقدرتها على استيعاب النوازل والمستجدات بما يحقق مصالح العباد، ويدراً عنهم المفسدات والملمات. ولما كانت العقود والتعهدات -سواء أكانت معاوضات مالية فردية أم قضايا عامة- تُبنى في الأصل على ظروف وأحوال مستقرة وقت إنشائها، فإنّ دوام هذه الأحوال ليس أمراً حتمياً في واقع يتسم بالتغير المستمر.

من هنا تبرز أهمية "نظرية تغير الظروف" بوصفها أداة اجتهادية ومقاصدية توازن بين مبدأ استقرار العقود والالتزام بالعهود، وبين مبدأ العدالة ورفع الحرج والمشقة؛ إذ قد تطرأ من الظروف الاستثنائية والجوائح العامة ما يجعل الاستمرار في تنفيذ

الالتزام على وجهه الأصلي عسيراً أو مجحفاً بأحد الأطراف، أو مهلكاً لمقدرات الأمة.

مفهوم تغير الظروف في الفقه والقانون:

التغير لغة: هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى، وتَغَيَّرَ الشيءُ عَنْ حاله، أي:

تَحَوَّلَ، وَغَيَّرَهُ: أي بدله وحوله، وجعله غير ما كان.⁽¹⁾

والظرف لغة: وعاء كل شيء، وَظَرْفُ الشيءِ: وعاءه، وَالْجَمْعُ ظُرُوفٌ، وَمِنْهُ ظُرُوفُ

الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ وَالْأَحْوَالِ.⁽²⁾

ومصطلح تغير الظروف هو من المصطلحات الحديثة المركبة، وهو مراعاة الزمان

والمكان وأحوال المكلفين لتطبيق حكم شرعي، أو تأثير الحكم الشرعي بذلك، وليس

المقصود بتغير الظروف هو تغير الحكم الشرعي، ولكن قد تحدث ظروف تتطلب

إعادة النظر في بعض الأمور والقضايا.⁽³⁾

أسس نظرية تغير الظروف في الفقه الإسلامي:

يمكن تأصيل نظرية تغير الظروف على قواعد فقهية عدة:

1 - الأصل بقاء ما كان على ما كان حتى يوجد المزيل له:

فالأصل أن يبقى الحكم، ويستمر على تلك الحال المعهودة التي كان عليها، حتى

يقوم الدليل أو المغيّر، وهذه القاعدة من أنواع الاستصحاب.⁽⁴⁾

1. الجرجاني، التعريفات، ص63. الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، 13|286.

2. ابن منظور، لسان العرب، 9|229.

3. الذبيات، تغير الظروف وأثره في المعاهدات في الفقه الإسلامي، ص79.

4. الزرقا، أحمد بن الشيخ محمد [1285هـ - 1357هـ]، شرح القواعد الفقهية، ص87، صححه وعلق عليه: مصطفى

أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق الطبعة: الثانية، 1409هـ - 1989م.

2 - لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان:

معنى هذه القاعدة أنَّ الأحكام الاجتهادية من قياسية ومصلحية هي الأحكام التي تتبدل بتبدل الزمان، وأخلاق النَّاس، والأعراف والأحوال.⁽¹⁾

ومن القواعد المبنية على هذه القاعدة: لزوم الضمان على غاصب مال اليتيم ومال الوقف، وقول أبي حنيفة بعدم لزوم تزكية الشهود في دعوى المال ما لم يطعن الخصم فيهم، وسبب ذلك صلاح الناس في زمانه، أما صاحبان وقد شهدا زمنًا غير زمن الإمام أبي حنيفة تفشت فيه الأخلاق الفاسدة، فقالا بلزوم تزكية الشهود سرًا وعلنًا.⁽²⁾

وبناء على ذلك يجوز أن يتغير الحكم المبني على المصلحة، لتغير تلك المصلحة؛ لأنَّ الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا.⁽³⁾

3 - قاعدة: الضرر يزال:

أصل هذه القاعدة قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)⁽⁴⁾، فهذا الحديث فيه تحريم سائر أنواع الضرر إلا بدليل؛ لأن النكرة في سياق النفي تعم.⁽⁵⁾

وينبني على هذه القاعدة كثير من أبواب الفقه، من ذلك: جميع أنواع الخيار: من

1. ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، 48|1.

2. ابن مودود، الاختيار لتعليل المختار، 142|2. العيني، البناية شرح الهداية، 211|11، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

3. الذيابات، تغير الظروف وأثره في المعاهدات الدولية في الفقه الإسلامي، ص 105.

4. سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، وصحه الألباني.

5. المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، 431|6.

إفلاس المشتري، واختلاف الوصف المشروط، والتعزير، وغير ذلك، والشفعة؛ لأنها شرعت لدفع ضرر القسمة، والحدود، والقصاص، ونصب الأئمة، ودفع الصائل، والكفارات، والقسمة، وضمان المتلف، والقضاة، وقتال المشركين، والبغاة، وفسخ النكاح بالعيوب، أو الإعسار، والحجر بأنواعه، والرد بالعيوب.⁽¹⁾

4 - قاعدة الضرورات تبيح المحظورات:

معنى هذه القاعدة أنَّ المحرم يصبح مباحاً إذا عرض للمكلف أمر ضروري يقتضي ذلك، بحيث لا تندفع تلك الضرورة إلا بفعل ذلك المحرم، مثل: أكل الميتة لمن خشي الهلاك، وسقوط بعض التكاليف أو تخفيفها بسبب الضرورة⁽²⁾، ومن ذلك ما ذكره الإمام الكاساني أنَّ في لفظ الموادة أو المصالحة أو المسالمة وشروطها ما يؤدي إلى معنى الضرورة، وهي ضرورة الاستعداد للقتال، بأنَّ كان المسلمون في حالة ضعف ودولة الكفر مجاورة فلا تجوز إلا عند الضرورة.⁽³⁾

5 - قاعدة درء المفسد أولى من جلب المصالح:

معنى هذه القاعدة: أنَّه إذا تعارضت مفسدة ومصلة يقدم دفع المفسدة غالباً، لأنَّ اعتناء الشارع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات⁽⁴⁾، ولذلك قال صلى الله عليه

1. السيوطي، الأشباه والنظائر، ص 83.

2. الزركشي، المنثور في القواعد الفقهية، 2/317. القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، ص 237.

3. الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، 7/108.

4. السيوطي، الأشباه والنظائر، ص 87.

وسلم: (فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)⁽¹⁾،

فالحديث علق الأمر بمشيئة المسلمين واستطاعتهم، وألزمهم الله بالانتهاز عما نهى عنه⁽²⁾.

6 - النظر في مآلات الأفعال معتبر ومقصود شرعاً:

مآلات الأفعال أمر معتبر مقصود شرعاً إذا كانت هذه الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك لأنَّ المجتهد لا يحكم على الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإحجام أو الإقدام إلا بعد نظر المجتهد إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، سواء كان هذا الفعل لجلب مصلحة أم دفع مفسدة، حتى لا يكون له مآل على خلاف ما قُصد⁽³⁾.

7 - قاعدة: المشقة تجلب التيسير ورفع الحرج:

الأصل في هذه القاعدة قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (البقرة: 185)، وقوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (الحج: 78)، فشرعت بناء على هذه القاعدة كثير من الرخص، منها: الجمع والقصر في الصلاة، والتيمم عند مشقة استعمال الماء، والقعود في صلاة الفرض، وغيرها من الرخص⁽⁴⁾، فالشريعة الإسلامية رفعت الحرج والمشقة عن المكلفين في العبادات وعقود المعاملات

1. صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

2. ابن بطال، شرح صحيح البخاري، 10/335.

3. الشاطبي، الموافقات، 5/117.

4. السيوطي، الأشباه والنظائر، ص 67.

الفردية، فإذا ظهرت حوادث أو ظروف أوقعت الأمة والعامّة في مشقة أو ضيق أو تسببت بهدر المقدرات فمن باب أولى رفع الحرج والمشقة عن العامّة.

8 - قاعدة: تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة:

بناء على هذه القاعدة على الإمام أن يختار الأصلح في أمر المسلمين؛ لأنّه تصرف يتعلق بالغير، فإنّ تعلق الأمر بالغير يُوجب على الإمام أن يختار الأولى والأصلح، فإذا كان هناك أمران أحدهما أنفع وأصلح، وجب على الإمام أن يختار الأصلح، فيختار ما فيه مصلحة للعامّة⁽¹⁾، لقوله، صلى الله عليه وسلم: (مَا خَيْرَ رَسُولٍ، اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا)⁽²⁾.

ووردت في كتب الفقه تطبيقات كثيرة على نظرية تغير الظروف، منها:

نظرية الجوائح والأعذار:

فمن القواعد المهمة التي يمكن من خلالها تأصيل نظرية تغير الظروف، نظرية الجوائح، والجائحة هي: المصيبة العظيمة، وهي الشدة التي تجتاح المال، يقال: جاحتهم الجائحة، واجتاحتهم، وجاح الله ماله وأجاحه، بمعنى، أي أهلكه: بالجائحة⁽³⁾.

1. السيوطي، الأشباه والنظائر، ص121. الزامل، شرح القواعد السعدية، ص206.

2. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي، صلى الله عليه وسلم.

3. ابن دريد، جمهرة اللغة، 1/442. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1/360.

وصورتها: أن يباع الثمر ويسلم إلى المشتري، وهو ما يزال على الشجرة، ثم تلف قبل الجداد لآفة أو عارض سماوي⁽¹⁾، فقال المالكية⁽²⁾ والحنابلة⁽³⁾ أن الخسارة على البائع؛ تطبيقاً لنظرية الجائحة، لقوله، صلى الله عليه وسلم: (لَوْ بَعْتَ مِنْ أَخِيكَ ثَمَرًا، فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، بِمَرِّ تَأْخُذُ مَالَ أَخِيكَ بِغَيْرِ حَقٍّ؟!)⁽⁴⁾، بينما ذهب الحنفية⁽⁵⁾ والشافعية⁽⁶⁾ أن المشتري هو الذي يتحمل تبعة الهلاك؛ لأنهم لم يأخذوا بنظرية الجوائح، ولأنهم عدوا أن التسليم قد تم، ودخلت البضاعة ملك المشتري، وحملوا الحديث على أنه قبل التخلية بين البائع والمشتري.

وبناء على هذه النظرية التي تقتضي عدم تحميل العاقد ضرراً ناشئاً عن حادث، لا يد له فيه، وخارجاً عن حسابه وقت التعاقد، فيمكن اعتبار تغير الظروف مثل الآفات السماوية التي تبيح فسخ العقد عند من أخذ بهذه النظرية.

أما نظرية الأعذار فتعرف بالعجز عن المضي بموجب العقد إلا بتحمل ضرر زائد لم يستحق بالعقد، أي: بالعقد نفسه⁽⁷⁾، ومن الأضرار التي عدها الفقهاء عذراً موجباً لفسخ العقد، فسخ عقد الإجارة إذا كان يسبب ضرراً لم يكن متوقعاً، أو يؤدي إلى

1. الماوردي، الحاوي الكبير، 5/205.

2. القرافي، الذخيرة، 5/203.

3. ابن قدامة، المغني، 4/80.

4. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب وضع الجوائح.

5. العيني، البناية شرح الهداية 3/431.

6. الماوردي، الحاوي الكبير 5/205.

7. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، (المتوفى: 970هـ)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، 8/42، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية، دون تاريخ.

الوقوع في المحرم، أو يوجد خلل في المعقود عليه، أو عيب يؤدي إلى نقص في المنفعة، أو تعذر الاستيفاء حساً أو شرعاً.^(*)

خاتمة: في الختام يتجلى بوضوح عمق السبق التشريعي والمرونة البالغة التي

يتمتع بها الفقه الإسلامي في استيعاب النوازل، ومواكبة تقلبات الأحوال؛ إذ إن مصطلح "تغير الظروف" - وإن كان حديث التسمية- يعد أصيلاً في جوهره، مستنداً إلى حزمة من القواعد الفقهية والمقاصدية الكبرى؛ كرفع الحرج، وإزالة الضرر، وربط تصرفات الإمام بالمنفعة العامة، وقد برهنت التطبيقات العملية في نظريتي الجوائح والأعذار على أن الشريعة الغراء لم تدع المتعاقدين رهينة للظروف المجحفة والحوادث الطارئة الخارجة عن إرادتهم، بل أوجدت مخارج توازن بين استقرار العقود وتحقيق العدالة؛ وهو ما يستوجب الاسترشاد بهذه الأصول الفقهية العريقة؛ لتظل مواكبة لروح العصر ومتغيراته.

* الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، 4/200. الحطاب، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي (المتوفى: 954هـ)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، 4/322، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، 1412هـ - 1992م. الشرييني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، 3/483. ابن قدامة، المغني، 5/333.

نصرة المظلوم في منهج الرسل، عليهم السلام، في ضوء القرآن الكريم

د. حمزة شواهنة / باحث في الدراسات القرآنية

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيّين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فلا ريب أنّ العدل قيمة إنسانيّة مشتركة اتفق عليها العقلاء، وقامت عليها الشرائع السماوية جميعها، وتأسّس عليها نظام الكون كلّهُ، فالأمم تلتقي على العدل، وعليه قامت السماوات والأرض، وهو أساس الملّك، كما أنّ من أهمّ القواعد الأساسيّة لتحقيق السلام بين الشعوب دفعُ الظلم، ولا سبيل إلى تحقيق التعايش العالميّ دون إنصاف المظلومين في شتّى الأقطار، لذلك يمتاز منهج الرسل، عليهم السلام، في إرساء التعايش برفض الطغيان، والوقوف في وجه الظالمين.

وعليه، فإنّ نصرة المظلوم، والأخذ على أيدي الجبّارة، خلق كريم من الأخلاق الرفيعة التي جاءت بها الشرائع كافّة، واتفقت عليها الفطر السليمة، كما أنّه يُعدّ من أخلاقيّات التعايش المشترك، لذا جاء هذا المقال بعنوان: (نصرة المظلوم في منهج الرسل، عليهم السلام، في ضوء القرآن الكريم)؛ حتّى على نجدة المستضعفين، وإغاثة الملهوفين.

أصل الظلم في اللغة: الجور ومجاوزة الحدّ، يقال: ظلمه، يظلمه ظلمًا، وظلمًا، ومظلمةً، فالظلم مَصْدَرٌ حَقِيقِيٌّ، والظُّلم الاسم، وهو ظالم وظلوم. وأصل الظلم: وَضَعَ الشيء في غير موضعه.⁽¹⁾

أما الظلم في الاصطلاح، فهو: وَضَعَ الشيء في غير موضعه المختصّ به؛ إمّا بنقصان أو بزيادة، أو بعدول عن وقته أو مكانه.⁽²⁾ ويتلخّص ممّا سبق، أنّ المعنى الاصطلاحيّ للظلم يلتقي مع المعنى اللغويّ، وهو يدور حول وَضَعَ الشيء في غير موضعه الجدير به.

نصرة المظلوم في منهج الرسل، عليهم السلام:

إنّ مدافعة الظلم بمختلف صوره من أسمى غايات القرآن الكريم، ولا أدلّ على ذلك من كثرة الآيات التي تتحدث عن الظلم والظالمين، ويكفي أن نعلم أنّ لفظ الظلم تكرر في القرآن الكريم بمختلف تصريفاته في (265) آية، وهذا الرقم يجعلنا نوقن بأنّ مجابهة الظلم من أوجب الواجبات، لذا فإنّ مدافعة الظلم هي السياج الحامي لمقاصد الشريعة وضروراتها الخمس.⁽³⁾

ولا شكّ في أنّ من أهمّ ركائز التعايش التي يقوم عليها منهج الرسل، عليهم

1. انظر، الجوهري: الصحاح، (ظلم)، (5/ 1977). وابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، (ظلم)، (3/ 161).
والرازي: مختار الصحاح، (ظلم)، (197). والزبيدي: تاج العروس، (ظلم)، (33/ 32 - 33).
2. انظر، الأصفهاني: المفردات، (ظلم)، (ص: 537). والأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، (ص: 253).
3. انظر: جلّاد، أبو الحسن محمد وصفي: الهدى النبوي في التعامل مع الحاكم الظالم، رسالة ماجستير، (كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2018م)، (ص: 17 - 18).

السلام، التحذير من ظلم الآخرين، حيث دأب الرسل، عليهم السلام، على الدعوة إلى إنصاف المظلومين سواء بالكلمة أم بالمواقف العملية، فهذا رسول الله، موسى كليم الله، عليه السلام، يعلن انحيازه الكامل للمظلومين، مهما كلفه ذلك المبدأ من ثمن، كما قال الله ﷻ: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} (القصص:15) جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: فلن أكون مُعيناً لمن تؤدّي معاونته إلى الجُرم، وأراد بمظاهرة المجرمين: صلبة فرعون، وانتظامه في جملته، وتكثيره سواده، حيث كان يركب بركوبه، كالولد مع الوالد.⁽¹⁾

ويدخل في صُور مظاهرة المجرمين ومناصرتهم كل ما من شأنه دعم الظالم بأي موقف -سواءً باللسان أم بالعمل-، ومن ذلك الصمت عن جرائمهم، وهذا بعينه ما تستخدمه الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ السبعينيات من حق النقض⁽²⁾ في مجلس الأمن الدولي؛ وذلك لإحباط قرارات تدين الممارسات ضد شعوب مستضعفة.

فضلاً عن اتباع سياسة الكيل بمكيالين، ولا ريب في أن نتائج هذه السياسة المتبّعة

وخيمة على التعايش العالمي.

1. انظر، الواحدي: الوجيز، (ص: 815). والزمخشري: الكشاف، (3/ 398). والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (13/ 262). والبيضاوي: أنوار التنزيل، (4/ 174). والنسفي: مدارك التنزيل، (2/ 633). وأبو السعود: إرشاد العقل السليم، (7/ 7). والقاسمي: محاسن التأويل، (7/ 517).

2. حق النقض (Veto): هو حق تملكه خمس دول دائمة العضوية في مجلس الأمن، وهي: روسيا والصين وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، يُخولها رفض أي قرار يُقدّم لمجلس الأمن دون إبداء أسباب، ويعود أصل هذه الكلمة إلى اللغة اللاتينية، وتعني: أنا أعترض، وشاع مدلولها بعد عام ألف وتسعمائة وخمس وأربعين ميلادية. انظر، رابط: <https://political-encyclopedia.org/dictionary>.

ونجد في سيرة نبي الله يوسف عليه السلام ما يؤكد هذا المعنى، فيقول كما حكى القرآن الكريم عنه: {وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} (يوسف: 23)

وقوله سبحانه: {لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} تعليلٌ للامتناع المذكور، والفلاح: الظفر، وقيل: البقاء في الخير، ومعنى أفلح: دخل، والمراد بالظالمين: كلُّ مَنْ ظَلَمَ كائناً مَنْ كَانَ، فيدخل في ذلك المُجَازُونَ للإحسان بالإساءة، والعصاةُ لأمر الله تعالى دخولاً أولياً، وقيل: الزناة؛ لأنهم ظالمون لأنفسهم وللمزنيِّ بأهله.⁽¹⁾

يقول صاحب الظلال في هذا السياق: "إنَّ الإسلام يريد للبشريَّة أن ترتفع، ويريد للبشريَّة أن تعفَّ، فلا تبيع الغدر في سبيل الغلب، وهو يكافح لأسمى الغايات، وأشرف المقاصد، ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة".⁽²⁾

ونلاحظ الخطاب ذاته بكلماته وحروفه من رسول الله موسى عليه السلام وهو يخاطب فرعون بقوله: {... رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} (القصص: 37)

ويسطر القرآن الكريم براءة يهوديِّ اتَّهمه منافق بالسرقة، فتنزل الآيات الكريمة تنفي عنه ما اتَّهم به زوراً، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً* وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً* وَلَا

1. انظر، الخازن: لباب التأويل، (3/ 273). والتَّسْفِي: مدارك التنزيل، (2/ 552). وأبو السعود: إرشاد العقل السليم، (4/ 265). والآلوسي: روح المعاني، (6/ 404). والقاسمي: محاسن التأويل، (6/ 165).
2. قطب: في ظلال القرآن، (3/ 1542).

تُجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا { (النساء: 105 - 109).

ويعلق ابن العربي على هذه الآية بقوله: "نهى الله ﷻ رسوله ﷺ عن عَضُدِ أَهْلِ التُّهْمِ، والدفاع عنهم بما يقوله خصمهم من الحجة"⁽¹⁾، ويضيف القرطبي قائلا: "وفي هذا دليل على أَنَّ النيابة عن المبطل والمتهم في الخصومة لا تجوز."⁽²⁾

ونلمح من المشهد السابق روعة تعاليم الإسلام الحنيف، حيث حرّمت إيقاع الظلم حتّى على الكافر، فقد أنزل الله ﷻ آيات صريحة؛ لتُدين مسلماً، وتُنصف كافراً، تبعاً لذلك فإنّه يحرم إلصاق التهمة بكافر بريء، كالسرقة مثلاً؛ وذلك من أجل تبرئة مسلمٍ جانٍ، وهذا مبدأ إسلاميٍّ عامٍّ، يشمل حالتي السّلم والحرب، والجدير ذكره أنّ الدعوة إلى نصرة المظلوم في الإسلام صدرت في أوج قوّته، ولم تأت وليدة الضعف.

ونجد رسول الله محمّداً ﷺ يندّد بالظلم أيّما تنديد، لا سيّما مع غير المسلمين من أهل الذمّة والمعاهدين والمستأمنين ونحوهم، في أحاديث صحيحة وصريحة، ومن ذلك قوله ﷺ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا

بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».⁽³⁾

1. ابن العربي: أحكام القرآن، (1/ 626). والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (5/ 377).

2. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (5/ 377). وانظر، رضا: تفسير المنار، (5/ 325).

3. سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، وصحه الألباني.

وخلاصة القول: يتحتم على قادة الدول اليوم أن يراجعوا مسيرتهم، ويتقنوا خطي

الرسل، عليهم السلام، في البراءة من مسالك المجرمين، وردّ حقوق المظلومين؛ لأنّ الشعور بالظلم ومصادرة الحقوق الأساسيّة للبشر لَمِنْ أكبر معوقات التعايش، ومن أعظم أسباب الكراهية والنزاعات بين المجتمعات؛ وذلك لأنّ معايشة الفرد لمجتمع يسلبه حقوقه جحيم لا يطاق.

كما تبيّن أنّ نُصرة المظلوم حقّ واجب على المسلم حسب قدرته، وليس من قبيل النوافل، وأنّ هذا الخلق النبيل من أخلاق الرسل الكرام، عليهم السلام وشماثلهم. وصلوات الله وسلامه على أشرف خلقه وتاج رُسله محمّد، وعلى آله وصحبه، وأسأله أن يهلك الظالمين، وأن ينصر المظلومين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



الأسرة ودورها في بناء المجتمع

أ. كمال بواطنة

ليست التقاء عابراً:

الأسرة حجر الزاوية في بناء المجتمع، وليست مجرد التقاء عابر بين طرفين، وإذا كان المجتمع شجرة مُعَمَّرة، فالأسرة تمثل الجذور التي تحمي الشجرة من الوقوع، وتمدّها بعناصر الحياة والنمو، وقوّة المجتمعات لا تقاس بارتفاع بانيانها، وكثرة ثرواتها، وتطوّر صناعاتها... بل تقاس بمدى تماسك الأسر فيها، وهناك تناسب طردي بين قوّة المجتمعات وتماسك الأسر فيها، ومجتمع قويّ يعكس أسراً متماسكة قويّة، ومجتمع مفكك يعكس أسراً مفككة.

مفهوم الأسرة:

أسرة المرء تعني أهله وعشيرته، فهناك الأسرة الصغيرة التي تشمل الوالدين والأولاد والأجداد إن كانوا على قيد الحياة، وهناك أسرة ممتدة، تنداح لتشمل الأقارب من الدرجة الأولى.

والأسرة من معانيها (الأسر)، وهو بمعنى الشدّة والقوّة، ومن معانيها الوقاية والجمال، فالأسرة تقي وتحمي، ويتجسّد فيها معنى الجمال، فكلا الزوجين يتجمل بالآخر، ونحن نفهم هذا من قول ربّنا سبحانه: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ}

(البقرة:187)، واللباس أقرب ما يكون إلى الجسد كما أنّ فيه الحماية، وفيه الجمال، لقد سمّاها ربنا سبحانه، زينة، فقال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} (الأعراف:31)، ويُراد بالزينة اللباس، وهذا من المجاز المرسل، كما يسميه أهل البلاغة، وعلاقته (الحاليّة)، فقد أورد المحلّ، وهو اللباس، وأراد الحالّ فيه، وهو الزينة، وسبحان الله! فالإنسان ذو الفطرة السويّة يأنف العريّ، ولا يرتاح حتّى يكون لابساً. ولعلّ من معاني الأسرة حفظ السرّ، فالأسرة تحفظ على الإنسان سرّه، وكثيراً ما يقول الناس: هذه أسرار عائلية، وبهذا فإنّ الأسرة هي الطريق الآمن لحياة مستقرّة، والمرء يكون امرأً ضائعاً بلا أسرة.

بناء الأسرة ومقاصد بنائها:

الكون كما أراده الخالق العظيم لا يستقيم نظامه من غير أسر، والله سبحانه، من مقاصده من خلق الإنسان عمارة الكون {هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} (هود:61)، وهذه العمارة لا تتظم إلا بوجود أسرة، يتعاون فيها أفرادها على الإعمار. ومن اللافت أنّ القرآن الكريم تحدّث عن الأسرة كثيراً، وهذا يدلّ على أنّ الحياة لا تمضي بغير التعاون والتشاور بين أفراد الأسرة، وقد وجدنا القرآن الكريم حتّى في المسائل البسيطة كفطام الرضيع قبل أن يتمّ الحولين يلفت إلى تشاور الزوجين {فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} (البقرة:233)، وإذا كان هذا في المسائل الصغيرة، فكيف يكون الأمر في مسائل أكبر؟!

في آية من سورة (الروم)، يبيّن ربنا سبحانه، أعظم المقاصد من تكوين الأسرة، فقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ { (الروم: 21)، فالذي يتفكر يدرك عظمة الخالق، في خلق الذكر وخلق الأنثى من نفس واحدة؛ ليحدث الانسجام، وما يتولد عنه من سكينة قلبية، ومودة، ومما سمعت من أحدهم ممن يعرف لغات كثيرة أنه يصعب ترجمة كلمة (مودّة) إلى لغات أخرى، وهذا من مظاهر تفرّد لغتنا العربية. ويتولد كذلك في الأسرة الرحمة، ف كلا الزوجين يرحم الآخر في حالات ضعفه، ويعذره إن أخطأ.

ومن اللطائف في الآية قوله سبحانه: **{وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ}**، والبين يوحى بوجود مسافة بين شيئين، وكلا الزوجين يبدأ بالمودّة والرحمة؛ ليقصّر المسافة مع الطرف الآخر. الشيخ الشعراوي، رحمه الله، وهو يفسّر سورة الليل يلفت النظر إلى أنّ الله، سبحانه، بعدما أقسم بالليل والنهار أقسم بخلقه الذكر والأنثى **{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}** { (الليل: 1 - 3)، ولا يخفى أنّ الليل له مهمّة، والنهار له مهمّة، وكلاهما يكمل الآخر، وكذلك فإنّ للذكر مهمّة، وللأنثى مهمّة، وكلاهما يكمل الآخر، فهما مثل الشمس والقمر، فلا القمر يغني عن الشمس، ولا الشمس تغني عن القمر.

مسؤولية الأبناء:

لعلّ تربية الأبناء من أهمّ ما يواجه الأسرة، وقد قالوا: (ابن ابنك، ولا تبني له)، والمقصود ربّه على الخلق والدين، وهذا أنفع من أن تقيم له بناء، وتزوّجه، وهو ليس لذلك بأهل، وتربية الأبناء مسؤولية مشتركة بين الزوجين، وليس من العقل في شيء أن يلقي الحمل على طرف دون طرف، أو أن يتنصّل أحدهما من مسؤولياته؛ ليلقي

باللائمة على الطرف الآخر، وهذا هروب، وحديث رسولنا، صلى الله عليه وسلم، لا يعفي أحداً من المسؤولية (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...) (*).

كثيرمن الأولاد في أيامنا في حكم الأيتام، مع وجود الأبوين، ورحم الله شوقي لما أنشد:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من همّ الحياة وخلفاه ذليلاً
إنّ اليتيم الذي تلقى له أمّاً تخلّت أو أباً مشغولاً

وإذا كان شوقي قد قال هذا قبل وجود (النت) فما كان عساه يقول لو رأى كلاً من الأب والأمّ يحدّقان في المحمول، ويذهلان عن أولادهما؟!

القرآن يلفت كلّ صاحب مسؤولية أن يتابع مسؤوليته، ومن ذلك قول ربّنا في الحديث عن سليمان، عليه السلام: {وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ} (النمل:20)، وواجب الوالدين أن يتفقدوا طيورهما، أعني أولادهما.

أولاد يعقوب، عليه السلام: {قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ...} {يوسف:17}، كم من الآباء والأمّهات من يتسابقون لتحصيل حظوظ الدنيا، وينسون أولادهم، فتأكلهم الذئاب!

”وللرجال عليهنّ درجة“:

الله سبحانه وزّع المواهب، فجعل للرجال درجة على النساء، وهذه الدرجة تجعل الرجل يتحمّل مسؤولية قيادة الأسرة {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (البقرة:228)، ومن هنا كانت القوامة للرجل، والقوامة علامة

* صحيح البخاريّ، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه.

رجولة بدليل أَنَّ الله سبحانه، لم يقل الذكور قَوَّامُونَ عَلَى الْإِنَاثِ، بل قَالَ: {الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} (النساء: 34)، وهذه القوامة لا تعني بحال التجبُّر والتسلُّط، بل تعني تحمُّل المسؤولية، وخدمة الأسرة، فهي -والحالة هذه- تكليف قبل أن تكون تشريفاً، ولا ينكر من وجود حالات قليلة يتخلَّى فيها الرجل عن القوامة على الأسرة، فتضطر المرأة للقيام بهذا الدور.

والحياة الزوجية قائمة على الصدق، والصِّدَاق، وهو المهر مشتقٌّ من الصِّدْقِ، وليس من الصِّدْقَةِ كما يتوهَّم بعضهم، وما أهنأ الحياة الزوجية حين تبنى على الصِّدْقِ، وعلى المعاشرة بالمعروف، وقد قيل: (عاشر زوجك بالمعروف، وستعذر إن قصرت معها في المصروف).

ومما يتراءى لي أَنَّ المرأة تمثِّل للأسرة الجبهة الداخلية، فعندها يجد الزوج السكن والسكينة بعد التعب، ورحم الله امرأة كانت تقول لزوجها بعد عودته من العمل: أنت كهرباء البيت، والبيت من دونك لا نور فيه، في حين يمثِّل الرجل الجبهة الخارجية، فالمرأة تربي الأبناء، وتعتني بهم، وتوجِّههم، والأب يسعى لاكتساب الرزق، وكفى بالمرء إثماً أن يضيِّع من يقوت؛ ولذا فهو لا يكتفي بالإنفاق، بل يتابع أحوال أسرته، وهو الحامي الأساس للأسرة، والمرأة تشاركه ذلك.

ومن جميل ما قيل: الأب يمثِّل - في الغالب - في تربية الأبناء الشدَّة، والأمَّ تمثِّل - في الغالب - اللين، ولا يصلح أن يعيش الأولاد بين شدَّتين أو لينين، فالأب إن اشتدَّ كان من الأمِّ اللين.

قدوة البيوت:

لعلَّ أنجح بيت على الإطلاق بيت النبوة، وهو قدوة البيوت، ويا له من توجيه

عظيم (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)⁽¹⁾! فخير الناس لأهله نبينا، صلى الله عليه وسلم، الذي كان في مهنة أهله، فكان يخط الثوب، ويخصف النعل، ويحلب الشاة...، وما عرف عنه أنه ضرب زوجة قط، وكانت كل زوجة تشعر أنها الأثيرة عنده، فطوبى لنساء شرفن بأن كن زوجات لسيد الخلق، صلى الله عليه وسلم! ولا ريب أنه كان يقتدي بالنبي، صلى الله عليه وسلم، من انتشر في زمانه ضرب النساء، وكان زوجاً لمرأة تدعى (زينب)، فأنشد:

رَأَيْتُ رَجُلًا يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ تُضْرَبُ زَيْنَبُ

فزينب شمس والنساء كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب⁽²⁾

لقد كان، صلى الله عليه وسلم، يلاطف نساءه، ويمازجهن، ويشاورهن، ويأخذ بمشورتهن، وخبره في الحديبية مع أم المؤمنين، أم سلمة، رضي الله عنها، مشهور، وأظنه ليس على صواب من قال في حق النساء: (شاوروهن وخالفوهن)، فهذا كلام جائر، ولا يجوز.

لقد سمى القرآن الكريم الزوجة أهلاً، فهذا موسى، عليه السلام، كما حكى القرآن الكريم: {إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى} {طه: 10}، وهنا تتجلى القوامة، فموسى، عليه السلام، هو الذي ذهب، وخاطر بنفسه، وأراح أهله من التعب.

همسات في آذان الأزواج:

كل زوج يحرص على استمرار حياته الزوجية واستقرارها، ينبغي أن يحرص على

1. سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي، صلى الله عليه وسلم، قال عنه: حديث حسن صحيح، وصحه الألباني.

2. راجع كتاب: المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيبي، ص: 459.

أمور في تعامله مع شريك حياته، وهذه الشراكة ليست شراكة تجارة، بل شراكة حياة،
ومن هذه الأمور:

- **الاحترام المتبادل:** فبُست الحياة الزوجية إذا خلت من الاحترام المتبادل بين الزوجين! حينها تصبح الحياة الزوجية جحيماً.

- **فقر المشاعر:** إنَّ تبادل الكلمات العاطفية يربط القلوب، وإذا لم تسق زرعك سقاه غيرك، فحذار من البرود العاطفي، الذي يورث بلادة المشاعر، وقد تترتب عليه عواقب!

- **التغافل:** لا يحسن بكلا الزوجين التوقّف عند الهفوات وصغائر الأمور، والعاقل يتغافل، ويتجاوز؛ لتستمر الحياة، ووقوف كلا الزوجين للآخر على (النقرة) كما يقولون يجعل الحياة الزوجية لا تطاق، وكثرة العتاب تنفّر القلوب.

- **الهدية:** الهدية البسيطة بين حين وآخر، وبخاصة في المناسبات تجدد الحياة الزوجية، وعربون محبة، وتدلل على أنّ كل طرف في دائرة اهتمام شريكه.

- **ترشيد الغيرة:** الغيرة الشديدة مرض، وهي مفتاح الطلاق، وكثير من الأزواج افترقوا بسبب هواجس كاذبة.

كلمة أخيرة:

من المحزن أنّ العلاقات الزوجية تغيرت عما كانت عليه، ونسب الطلاق ارتفعت، والمغريات بسبب انفتاح الفضاء الإلكتروني على الحرام أفست كثيراً من الأزواج، وهذا يحتم على كل زوج أن يكون كالقبطان الخبير في التعامل مع الأمواج؛ كي تمضي سفينة الحياة الزوجية بأمان.



بين لحظة غضب وندم طويل

أ. يوسف عدوي / باحث وكاتب ومحاضر جامعي

مقدمة:

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الرّاجون، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون، الحمد لله الذي ابتلانا بالغضب، وكظم الغيظ فيما نغضب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، وسار تحت لوائه إلى يوم الدين، وبعد؛

فأستذكر دائماً عندما كنت طفلاً صغيراً لم أتجاوز العاشرة من عمري كلام المرحوم جدّي لوالدي الذي عاش حوالي (112) سنة (1865 - 1977م) عندما كان يعظ والدي، رحمة الله عليه، ومن يجالسهم، من أن الغضب مفتاح كل شر، وأنه يقود ويوصل إلى المصائب وخراب البيوت، ويورث الدم، والندم، حيث لا ينفع حينها الندم.

نعم، الغضب مصيبة، على الرغم من أنه من المشاعر الطبيعية التي يمر فيها كل إنسان في مراحل مختلفة من حياته، فهو ردة فعل نفسية تنشأ نتيجة مواقف، أو ضغوط معينة، وقد يكون وسيلة للتعبير عن الرفض أو الدفاع عن النفس، إلا أنه إذا تجاوز حدوده فقد يتحوّل إلى سلوك سلبي يؤثر في الفرد والمجتمع، ويصبح ناراً

تشتعل في أعماق النفس، قد تثير درب الحق أحياناً، لكنها كثيراً ما تحرق صاحبها قبل غيره. ومن هنا تبرز أهمية فهم الغضب، وأسبابه، والتعرف إلى سبل السيطرة عليه؛ لما لذلك من دور كبير في تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي. وهذا ما سأطرق إليه في مقالي هذا إن شاء الله، والله ولي التوفيق.

الغضب لغة واصطلاحاً:

الغضب لغة: غضب غضباً: سخط عليه وأراد الانتقام منه، فهو غضبٌ، وهو غضبان، وهي غضبي وغضبانة. وغاضب فلان فلاناً: أغضب كل منهما الآخر، ويعني الهجر والتباعد، والغضب من الرجال: السريع الغضب، والغضب: استجابة الانفعال، تتميز بالميل إلى الاعتداء.⁽¹⁾

الغضب اصطلاحاً: حالة نفسية ثائرة، أو انفعال يحدث بسبب إحباط إشباع الحاجات النفسية، أو الفسيولوجية، ويكون القدحة التي تثير العدوان تجاه النفس، أو تجاه الآخرين.⁽²⁾

ومن هذا التعريف نلاحظ أن الغضب هو استجابة عاطفية طبيعية تظهر عندما يشعر الإنسان بالتهديد، أو الظلم، أو الإحباط، وتدفعه إلى رد فعل قد يكون دفاعياً، أو هجوماً.

الغضب في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

وردت لفظة (غضب) ومشتقاتها في القرآن الكريم (15) مرة، وجاءت على النحو الآتي: غضب (8) مرات، غضبوا (مرة واحدة)، غضبي (مرتان)، غضبان (مرتان)،

1. المعجم الوسيط، مادة غضب، 2/ 654.

2. د. سميرة البدري، مصطلحات تربوية ونفسية، ص 136 - 137.

المغضوب (مرة واحدة) مُغَاضِباً (مرة واحدة) فورد في القرآن الكريم في قصة سيدنا موسى، عليه السلام، أن سيدنا موسى غضب عندما علم بخبر حكاية العجل، وكان سلوكه الناتج عن غضبه أنه ألقى الألواح التي فيها المنهج، وجرّ رأس أخيه هارون معاتباً، وكان الأخوة هنا لا نفع لها. قال تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَصَعِفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (الأعراف: 150) ⁽¹⁾ وسيدنا يونس، عليه السلام، صاحب الحوت، غضب لأن قومه كذبوه، فتوعدهم إن لم يتوبوا أن ينزل بهم العذاب، وأتى الموعد، ولم ينزل بهم ما توعدهم به، فخاف أن يكذبوه، ويتجرأوا عليه، فخرج من بينهم مغاضباً إلى مكان آخر، وهو لا يعلم أنهم تابوا، فأخر الله سبحانه وتعالى عذابهم، وأجل عقوبتهم. قال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (الأنبياء: 87) ⁽²⁾ وفي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (الشورى: 37) تشير هذه الآية إلى أن السجية تقتضي الصفح والعفو عن الناس، وليس الانتقام منهم، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله. ⁽³⁾

ونهى الله سبحانه وتعالى عن موالاة الكافرين ممن غضب الله عليهم، ولعنهم،

1. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 2 / 56.

2. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 2 / 447.

3. انظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمة الله.

واستحقوا من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء، وقد يئسوا من الآخرة؛ أي ثواب الآخرة، ونعيمها في حكم الله عز وجل. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} {الممتحنة: 13}، أما في سورة الفاتحة في تفسير قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {الفاتحة: 7} والمغضوب عليهم، هم الذين عرفوا الحق، ولم يعملوا به، ومن أشهر ما ورد في التفسير أنهم اليهود. (*)
ويبدو أن الآية لم تنحصر بفئة معينة فقط، بل تشمل كل من عرف الحق، وتعمد مخالفته، والمعنى هنا عام لكل من يسلك طريق الانحراف نفسه، من يهود وغيرهم.
وفي بيان ذم الغضب، قال تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} {الفتح: 26}.

نلاحظ من خلال القرآن الكريم أن غضب الله صفة إلهية تليق بجلاله، لا تشبه غضب البشر، وهو منزّه عن الانفعال، أو الاضطراب، وغضبه سبحانه، قائم على الحكمة والعدل المطلق، لا يكون إلا بالحق، ويترتب عليه عقاب إلهي، أو حرمان من الرحمة، وقد يكون في الدنيا والآخرة، ويكون مرتبطاً بأفعال عظيمة، مثل: الكفر، والظلم، وقتل النفس، أو مخالفة أوامر الله بعد العلم بها. قال تعالى: {بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ} {البقرة: 90} فهنا اليهود شروا الحق

* تفسير ابن كثير، 1 / 28.

بالباطل، وضيعوا من التوراة وهي معهم، وغضب الله عليهم بكفرهم بهذا النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي بعث إليهم، وغضب عليهم كذلك بكفرهم بالإنجيل وعيسى، عليه السلام، وكفرهم بمحمد، صلى الله عليه وسلم، والقرآن.⁽¹⁾ وفي قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (النساء: 93)

فالغضب هنا بسبب القتل المتعمد، فينال القاتل من الله السخط الشديد، والطرده من رحمة الله، والعذاب الشديد في الآخرة.⁽²⁾

وأفرد الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) عنواناً: (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد) وقال في الغضب: إنه شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة، وإنه من استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان، حيث قال: {خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (الأعراف: 12) فشأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلظى والاستعار.⁽³⁾ وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»⁽⁴⁾ وما يرشد إليه الحديث أن الشدة في ملك النفس، فالقوي الحقيقي الذي يملك نفسه عند الغضب، وليس من يغلب الناس، فالغضب يجمع الشر، ويؤدي إلى القطيعة. وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي، صلى الله عليه وسلم: «أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَردَّدَ مراراً، قَالَ: لَا تَغْضَبْ»⁽⁵⁾ ومن خلال الحديث نفهم تجنب أسباب الغضب، ولا نُعرض أنفسنا لما

1. تفسير ابن كثير، 1، 119 - 120.

2. محمد الصابوني، صفوة التفاسير، 1/ 272.

3. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، 4/ 1225.

4. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب.

5. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب.

يجلب الغضب، وأن نكظم الغيظ، وإذا ما غضبنا علينا ألا ننفذ ما يأمرنا به الغضب من أقوال، أو أفعال، أو مواقف، وأن نتغافل، فالخير كله في التغافل عن الإساءة، وهو من وسائل تفادي الغضب.

في الغضب تكون أحوال الناس ثلاثة: التفريط، والإفراط، والاعتدال، فالتفريط يكون بفقد هذه القوة، أو ضعفها، وذلك المذموم، فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلاً فهو ناقص جداً، وقد وصف الله سبحانه وتعالى أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، بالشدة والحمية، فقال سبحانه وتعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} (الفتح: 29) وقال لنبيه، صلى الله عليه وسلم: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (التوبة: 73) والغلظة هنا الشدة من آثار قوة الحمية للدين والمسلمين، وهو الغضب. وأما الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته. وأما الاعتدال فهو غضب مضبوط بالعقل، يهدف إلى نصرة الحق دون تجاوز، فالإنسان يجب أن يكون متوازناً، فلا يغضب لكل شيء، ولا يترك الغضب حين يجب، وعليه أن يملك نفسه، ويستخدم غضبه استخداماً حكيماً.^(*)

أسباب الغضب:

بدء الغضب هو الكبر، فنجد أن معظم الناس يغضبون على من هم دونهم، ولا يظهر الغضب على من هم فوقهم وأعلى منهم، والكبر داء مهلك، وهو عند الله ممقوت بغيض، فقد ذم الله الكبر في مواضع في القرآن الكريم، وذم كل

* أبو حامد الغزالي، 4/ 1229.

جبار متكبر، فقال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} (الأعراف: 146) وقال عز وجل: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} {غافر: 35}

فنلاحظ من خلال سلوك الناس في مجتمعنا أن الأسباب المهيجة للغضب هي: الزهو، والعجب، والمزاح، والهزل، والتدخل في شؤون الآخرين، والمماراة، والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه. وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب، فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها.^(*)

تأثير الغضب في الفرد والمجتمع:

يمكن القول إننا المسؤولون عن انفعالاتنا، ونحن اخترنا أن نغضب، وليس الآخرون من اختاروا ذلك، فسلوكات الأفراد محكومة بالدوافع، والدوافع قد تكون داخلية في الفرد، وقد تكون خارجية في المجتمع، والشخص الذي يسيطر على انفعالاته يكون قد وصل إلى مرحلة الضبط الانفعالي. وتتجلى تداعيات الغضب ومضاعفاته حين يخرج عن حدوده الطبيعية، ويتحول إلى سلوك متكرر وغير منضبط، فيؤثر سلباً في الفرد والمجتمع على حد سواء، كما يأتي:

(1) تأثير الغضب على الفرد:

يؤثر الغضب في شخصية الإنسان الذي يغضب كثيراً في جوانب متعددة، لعل أهمها: - الجانب النفسي: فيحصل لديه التوتر، والقلق المستمر، والغضب المزمن، فيبقى الجسم في حالة استنفار دائم، وعدم التعبير عن الغضب، أو انفجاره المتكرر قد يؤدي إلى اضطرابات مثل الاكتئاب، وتأثير في التركيز والذاكرة.

* انظر: أبو حامد الغزالي، 4 / 1236.

- الجانب السلوكي: ضعف التحكم بالذات، وصعوبة في اتخاذ القرارات العقلانية، وعدوانية لفظية، أو جسدية، وصراخ، وضرب، وتخريب، كذلك الاندفاع والتسرع في اتخاذ قرارات خاطئة، مثل: إنهاء علاقات وطلاق، أو فقدان عمل بسبب لحظة غضب، وقد يلجأ بعضهم إلى التدخين، وتعاطي المخدرات، والعزلة الاجتماعية، فالناس يميلون للابتعاد عن سريع الغضب.

- الجانب الجسدي: يؤدي الغضب إلى ارتفاع ضغط الدم، وزيادة خطر الإصابة بأمراض القلب.⁽¹⁾ وأكدت الدراسات أن الغضب الشديد الذي يزيد التوتر العالي في الجسم يؤدي إلى تكتل الدهون حول الكرش، وهو سبب من أسباب السكتة القلبية المفاجئة، ولعل هذا ما يفسر سبب كثرة موت الفجأة الذي أخبر رسول الله محمد، صلى الله عليه وسلم، عنه بأنه يكثر في آخر الزمان، كما يتسبب الغضب المتكرر في إدخال كثير من المواد الكيماوية إلى داخل المخ، مسبباً مشكلات عديدة كالصداع، والغثيان، والدوخة.⁽²⁾

(2) تأثير الغضب في المجتمع:

يدفع الغضب غير المسيطر عليه إلى التهور والاندفاع، والتلفظ بالفاظ بذئية وسيئة تسيء إلى الآخرين، وقد يؤدي إلى الضرب والإيذاء إلى حد القتل، مما يورث الندم؛ لذا فتأثيره في المجتمع يظهر في أنه:

- يضعف العلاقات الاجتماعية والإنسانية فيما بين الناس.

1. أ.د. تيسير عبدالله، دكتوراه في علم النفس، مقابلة في 28/4/2026 م.

2. فهد بن محمد الحمدان، فن إدارة الغضب، ص 12.

- يكثر من النزاعات، وفقدان الثقة بين الأفراد.
- يضعف أواصر المحبة والتفاهم داخل الأسرة والمجتمع.
- تراجع قيم التسامح والتعاون بين الأفراد، ما يهدد الاستقرار.
- يعوق مسيرة التنمية، ويعمل على التفكك والعزلة.
- زيادة العنف المجتمعي، والشجارات، وجرائم القتل.
- انخفاض الإنتاجية في العمل، وذلك بانتشار التوتر والمشكلات بين زملاء العمل.^(*)

الخاتمة:

نخلص في ختام مقالنا هذا بدعوتنا إلى التحكم في الانفعالات التي تؤدي إلى الغضب، واجتناب دوافعها، وكظم الغيظ، وأن الغضب منه المذموم، وهو الذي يكون للنفس والدنيا، ويعد (غول العقل) ومفتاحاً لكل شر؛ لأنه يدفع للظلم والإيذاء، ويؤدي إلى خراب البيوت. والغضب المحمود المشروع، هو الذي يكون لله تعالى عند انتهاك محارمه، والدفاع عن الحق. وأن للغضب طرقاً للتحكم فيه وعلاجه بينها القرآن الكريم وبيّنتها السنة النبوية التي نهت عن الغضب؛ لأنه من الشيطان، ولما له من تداعيات خطيرة، وتأثيرات في الفرد والأسرة والمجتمع.

* أ.د. تيسير عبدالله، دكتوراه في علم النفس، مقابلة في 28/4/2026م.

اقرأ وتذكر

أ. إيمان تايه / رئيس قسم النشر والتوزيع / دار الإفتاء الفلسطينية

كما تدين تُدان

املاً كأسك اليوم بما ستشربه غداً، فلتشربنَّ من الكأس نفسها التي سقيت منها غيرك، الخذلان بالخذلان، وجبر الخاطر بجبر الخاطر، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} (مريم: 64)

ازرع شهودك

سأل شخص صديقه: كم يستغرق الطريق من بيتك إلى عملك؟
فأجاب في وقت الازدحام 800 تسيحة
وفي الأوقات الأخف 250 تسيحة
قال سبحانه: {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا} (الزلزلة: 4)
الأمكان التي تذكر فيها ربك، ستشهد لك في يوم تحتاج فيه إلى الشهادة، فازرع شهودك في كل مكان.

حسن التدبير

مرّت مريم بنت عمران بموقف عصيب، ومع ذلك قيل لها: {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا...} (مريم: 26)

لا تُرهق قلبك بالتفكير والالتفات إلى ما انتهى، فبعض الصفحات خُتِمت بحكمةٍ من الله، وليس من الحكمة أن تُعيد قراءتها كل يوم، امضِ في طريقك، واحتفظ بالدروس، واترك الأوجاع خلفك، وإن كان بينك وبين أحدٍ حقٌّ أو رحم، فأدِّ ما أوجب الله، دون أن تسمح للأذى أن يستوطن قلبك، فالله عنده حسن التدبير.

لا تنفق كل ما تملك، ولا تُصدق كلَّ ما تسمع، ولا تَقُل كل ما تَعرف، ولا تتخذ بكل ما ترى؛ فإن كثرة الكلام تُذهب الوقار، وكثرة الثقة تورث الخيبة، وكثرة الظهور تُسقط الهيبة، فمن أحسن التدبير سلم الكثير.

لطف الله

إذا أراد الله اتجاه سفينتك لليمين فتأذيت وتألمت؛ فاعلم أن اليسار كان موتك المحتم، ثق بتدبير الله دائماً، فكم من أمرٍ ظننته خيراً لك، فصرفه الله عنك رحمةً بك، وكم من طريقٍ كرهت سلوكه، فجعل الله فيه نجاتك وسعادتك، فما أخفاه الله عنك ليس حرماناً، وما أخره عنك ليس نسياناً، وإنما هو لطفٌ يدبره لك بحكمته ورحمته.. {فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (الصافات: 87)

{ ... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (البقرة: 216)

لا تستعجل!

قال تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} (القصص: 14)

ثمة أمور يجب أن تنضج قبل أن تحصل عليها، لأنك لو أخذتها باكراً، لضيعتها

باكراً، إِنَّ الذي نَصَرَ المسلمين في بدر، كان قادراً على أن ينصرهم في مكة وهم

مستضعفون! لو كُسِرَت البيضة قبل اكتمال نمو الفرخ فيها، لمات!

ولو حُصد القمح باكراً، لما صار خبزاً!

والطعام الذي لا يأخذ حظه من النار، يخرج شيئاً لا يُؤكل!

ولو فرّج الله عن يوسف، عليه السّلام، أول الأمر؛ ما كان له أن يصل إلى كرسي

المُلك، كان يوسف بين القضبان، ولكن يد الجبار كانت طليقة تدبر الأمر، وتُهيّء

الأسباب للأعطية الكبرى، فلكل شيء أوان، فلا تستعجل!؟

وعده الحق

قال عز وجل: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} (القصص: 12)

جاع موسى، عليه السلام، وملاً بكاؤه القصر، آسيا تريده أن يرضع، وفرعون يريده

أن يسكت، الكل مشغول به، هذا يأتي بمرضع، وذاك يأتي بأخرى، ولكن لم يكن أحد

أرحم به من الله، كان يريد أن يعيده إلى أمه، إن الله تعالى لا يمنع إلا ليعطي، ولا

يُغلقُ باباً لأن غيره خير منه، لو استشعرنا رحمة الله في كل حرمان، وحكمته في كل

منع، لهانت علينا الطريق.

فلولا: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ} (القصص: 12)

ما كان: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (القصص: 13)



في رثاء أبي

أ. زهدي دنتولي / دار الإفتاء الفلسطينية

في ذمة الله قلبٌ كان يحفظني أبي النسيم ومعنى الروح للجسد
ما غابَ وجهك عن عيني ثانيةً في مهجتي منك آثارٌ إلى الأبد
أشتاقُ صوتك لما كان يؤنسني والقرب منك أبي أشدُّ به عضدي
أشتاقُ عطرَكَ فواحاً ليعبقني ويطفئ الوجد من همٍّ ومن كمدٍ
أرثيك شوقاً وجرحي غائرٌ نزفٌ والشعرُ يشجو بصمتِ الصبرِ والجلدِ
أرثيك فخراً وكم فاخرتَ بي أمماً وأنتَ صاحب ذاك الفخرِ والسددِ
لا وصف يسعفُ جرحَ الفقدِ في لغةٍ ولا شفاءَ لذكرى منك للأبدِ
والشعرُ يبكي بدمعٍ قد جرى شجناً وكان منه وفاء البرِّ والرِّفدِ
حرى لواعج قلبي وهْيَ شاختُ في كلِّ زاويةٍ تمتدُّ في مددِ
أنّ التفّتُ أرى ذكراك تسبقني تعيد لي مهجتي من بعدٍ مفقّدِ
لو أنّهُ بيدي أفديكَ كلّ فدى لكنّه أجلُّ يأتي لكلِّ يدِ
إني إلى الله قد سلّمتُ محتسباً أدعوك الله طوبى جنة الخلدِ



باقعة من نشاطات مكتب المفتي العام

ودوائر الإفتاء في محافظات الوطن

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير عام مكتب المفتي العام

المفتي العام يشارك في مؤتمر في باكستان

إسلام آباد: شارك سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية - خطيب المسجد الأقصى المبارك، في مؤتمر رسالة الإسلام الدولي السادس الذي عقد في العاصمة الباكستانية إسلام آباد، بحضور رئيس الوزراء الباكستاني محمد شهباز شريف، حيث أكد سماحته على عمق العلاقة الأخوية بين الشعبين الفلسطيني والباكستاني، وقد أشاد سماحته بما تقدمه باكستان حكومة وشعباً لدعم الشعب الفلسطيني في المحافل الدولية جميعها، وبين سماحته أن الإسلام دين يقوم



على السلام، وأن فلسطين دولة تعاني من آخر احتلال في العالم، داعياً العالم أجمع إلى الوقوف إلى جانب الشعب

الفلسطيني لنيل حقوقه المشروعة.



كما التقى سماحته
وزير الشؤون الدينية
والوئام بين الأديان
في الباكستان سردار
محمد يوسف، حيث
اطلعه سماحته على
الأوضاع الصعبة التي

تتعرض لها المقدسات الفلسطينية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، داعياً
الأمتين العربية والإسلامية إلى ضرورة العمل للدفاع عن المسجد الأقصى المبارك.

المفتي العام يلتقي محافظ أريحا ورئيس بلديتها

وزير المعابر الفلسطينية



أريحا والأغوار:

التقى سماحة الشيخ
محمد حسين - المفتي
العام للقدس والديار
الفلسطينية - خطيب
المسجد الأقصى

المبارك - على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية عطوفة الدكتور حسين حمائل - محافظ محافظة أريحا والأغوار، حيث اطلع سماعته والوفد المرافق على النشاطات التي تقوم بها المحافظة، بالإضافة إلى الصعوبات والانتهاكات التي تمارسها سلطات الاحتلال ومستوطنوها ضد المواطنين العزل الأبرياء، التي تتمثل بتشريدهم وهدم بيوتهم ومصادرة أراضيهم...إلخ، مشيداً سماعته بما تقدمه المحافظة لدعم صمود المواطنين الفلسطينيين وثباتهم، ضد هذه الانتهاكات والاعتداءات، ومشيراً إلى ضرورة تضافر جهود الجميع ومؤازرة أهالي أريحا بما يخدم محافظة أريحا وأهلها، ويعزز مسيرة التنمية فيها.

من جانب آخر؛ تم بحث مجالات تعاون دار الإفتاء الفلسطينية مع المحافظة في توطيد عرى السلم المجتمعي، وترسيخ القيم النبيلة.

وزار سماعته هيئة المعابر الفلسطينية والتقى عطوفة السيد أمين قنديل، رئيس الهيئة، الذي أطلع سماعته على الجهود التي تبذلها الهيئة لتسهيل سفر المواطنين،

خاصة في ظل

الظروف الصعبة التي

يعيشها أبناء الشعب

الفلسطيني، وقد

أشاد سماعته بالجهود

والخدمات التي تبذلها



الهيئة العامة والمعارب والحدود الفلسطينية للتخفيف عن المواطنين، وزار سماحته اللواء سالم علي غروف - رئيس بلدية أريحا، واطلع منه على النشاطات والخدمات التي تقدمها البلدية، وعلى الصعوبات التي تعاني منها بسبب ممارسات الاحتلال ومستوطنيه، وأثنى سماحته على هذه الخدمات، متطلعاً إلى مزيد من التعاون بين الدار والمؤسسات الفلسطينية جميعها في المجالات والنشاطات المختلفة.

المفتي العام يلتقي رئيس مؤسسة المواصفات والمقاييس

رام الله: التقى سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك - سعادة السيد حيدر حجة/ رئيس مؤسسة المواصفات والمقاييس الفلسطينية، بحضور عطوفة الوكيل المساعد الدكتور محمد جاد الله، حيث تم بحث سبل التعاون المشترك، واطلع سماحته على الخدمات والنشاطات التي تقوم بها مؤسسة المواصفات والمقاييس لخدمة المؤسسات والشركات الفلسطينية وتسهيل تسويق منتجاتها في الأسواق الخارجية بما يخدم الاقتصاد

الوطني الفلسطيني،
وأشاد سماحته
بهذه النشاطات،
والإنجازات التي
حققتها المؤسسة في
هذا الجانب، وبيّن أن



دار الإفتاء الفلسطينية شريك في نجاح مواكبة التقدم لخدمة الجهات الفلسطينية لتسويق منتوجاتها في الخارج، خاصة مع وجود مطالب من بعض الدول العربية والإسلامية بأن تكون هناك مشاركة من الدار في إصدار شهادة الحلال، وتم الاتفاق على إبرام مذكرة تفاهم بين الدار والمؤسسة، بما يخدم المصالح الوطنية.

المفتي العام يترأس الجلسة السابعة والثلاثين بعد المائتين

لمجلس الإفتاء الأعلى

رام الله: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى، الجلسة السابعة والثلاثين بعد المائتين لمجلس الإفتاء الأعلى، وقد حذر المجلس من مخاطر إقرار قانون منع الأذان، مؤكداً أن الأذان شريعة إسلامية، ولا يحق لسلطات الاحتلال التدخل فيه، وهذا القانون يتزامن مع الانتهاكات والاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال وقطعان المستوطنين ضد المقدسات الفلسطينية، التي تمثلت في الفترة الأخيرة بإحراق عدد من المساجد،



وطالب المجلس المؤسسات والهيئات المحلية والدولية بوقف هذه الاعتداءات، محذراً من عواقب استمرارها

على استقرار المنطقة برمتها، وأدان المجلس محاولة سلطات الاحتلال تغيير الواقع الفلسطيني التاريخي في القدس من خلال مخطط الاستيلاء على عقارات فلسطينية في منطقة باب السلسلة القريبة جداً من المسجد الأقصى المبارك، وأدان المجلس الانتهاكات والاعتداءات الممنهجة التي يقوم بها قطعان المستوطنين ضد الشعب الفلسطيني الأعزل وعقاراته ومقدساته من خلال سياسة حرق البيوت، ومصادرة الأراضي في انتهاك واضح للقوانين الدولية، وحضر الجلسة أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس من محافظات الوطن كافة.

مفتي محافظة نابلس يشارك في ندوات عدة ونشاطات أخرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ د. أحمد شوباش- مفتي محافظة نابلس- في ندوات عدة، منها ندوة بعنوان: "السيناريوهات المستقبلية للقضية الفلسطينية ومصير الحركة الأسيرة في ظل التطورات الإقليمية" نظمتها اللجنة الوطنية للأسرى في مقر جمعية مركز حواء، وندوة بعنوان: "فضل العشر الأوائل من ذي الحجة" عقدت في مراكز عدة،



منها: مركز النشاط النسوي في مخيم بلاطة، ومخيم عسكر القديم، ومركز يعقوب لتحفيظ القرآن الكريم،

ومسجد عمر بن الخطاب في روجيب، وشارك في جلسة حوارية عقدتها لجنة الخدمات الشعبية في قاعة "سفن دريم" في سهل روجيب، وشارك في ملتقى رجال الأعمال لتكريم المجلس البلدي القديم، واستقبال المجلس البلدي الجديد، وفي وقفين على دوار الشهداء، بمناسبة ذكرى النكبة، وأخرى دعماً للأسرى.

مفتي محافظة جنين يشارك في ندوات ونشاطات عدة

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب - مفتي محافظة جنين- في ندوة بعنوان: "أحكام العشرة الأوائل من ذي الحجة" عقدتها دائرة العمل النسائي في المحافظة، وأخرى عن الزكاة، وبيّن فيها أهمية الزكاة في سد حاجة الفقراء والمساكين، وشارك في افتتاح محلات في المحافظة، وأنشطة تجارية.

تهنئة

يتقدم سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، ونائبه فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله، وأعضاء مجلس الإفتاء الأعلى، وأصحاب الفضيلة المفتون، وأسرة دار الإفتاء الفلسطينية

من الشيخ الدكتور حمزة أحمد محمد ذويب

مفتي محافظة أريحا والأغوار

بأجمل التهاني والتبريكات لحصوله على درجة الدكتوراة في الفقه والسياسة الشرعية من جامعة الزيتونة - المعهد العالي للحضارة الإسلامي بتونس، بدرجة مشرف جداً.

سائلين الله عز وجل أن ينفع به ويعلمه الإسلام والمسلمين

مسابقة العدد 185

السؤال الأول: ما ؟

6. صاحب كتاب: (إحياء علوم الدين)

7. القائل:

- أ. في كل كبد رطبة أجر
- ب. ولد الهدى فالكائنات ضياء وفمر الزمان تبسم وثناء
- ت. إن اليتيم الذي تلقى له أمّا تخلت أو أباً مشغولاً
- ث. عن الرسول، صلى الله عليه وسلم: "كان خلقه القرآن"

السؤال الثالث: نعم أو لا...؟

1. الكَلُّ من الكِلَالِ، وهو الإعياء، وأصله الثقل
2. دخل سعيد على عثمان وهو في السُّوق، أي وهو في النزاع
3. يمنع ابن تيمية المستحاضة من الجمع بين الصلاتين
4. يجوز النظر إلى ذراع العجوز وساقها
5. يفرق ابن قدامة في حكم عدة المتوفى عنها زوجها بين نساء ونساء
6. اتفق أبو حنيفة والصاحبان في حكم تزكية الشهود
7. يتحمل البائع عند المالكية والحنابلة الخسارة إذا تلف الثمر المبيع قبل الجداد لعارض سماوي
8. يأخذ الحنفية والشافعية بنظرية الجوائح
9. تكرر لفظ الظلم في القرآن الكريم في (400) آية
10. في قوله تعالى: {خُذُوا زِينَتَكُمْ} مجاز مرسل

1. حق الطريق
2. صفة الذي يأبى، المستثنى من دخول الجنة
3. أحب الأعمال إلى الله، وإن قل
4. اليوم الذي شوهد فيه بلال يبكي بكاء شديداً
5. كان يفعله الصحابة بوضوئه، عليه الصلاة والسلام
6. حكم إعطاء الجوائز التحفيزية على سبيل الهدايا والهبات
7. الكلمة المرادفة للفظ (يشبهون): الواردة في حديث "من أشد الناس عذاباً يوم القيامة، الذين يشبهون بخلق الله" حسب ما ورد في رواية أخرى
8. حكم الخلوة بالعجوز الشوهاء عند الحنفية
9. معنى الجائحة
10. حكم النيابة عن المُبْطِل والمتهم في الخصومة عند القرطبي

السؤال الثاني: من...؟

1. النبي الذي ناشد قومه أن لا يخزونه في ضيفه
2. الذي أرجع أبا بكر إلى مكة من برك الغماد لما كان في طريقه مهاجراً إلى الحبشة
3. الذي قال له الرسول، صلى الله عليه وسلم: "رويداً سوقك بالقوارير"
4. النبي الذي قال عنه الله: {وَتَقَفَّذَ الطَّيْرُ} (النمل: 20)
5. الصحابي الذي قال له الرسول، صلى الله عليه وسلم: ساعة وساعة

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

ملحوظات :

- تُرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح.
- إرفاق صورة الهوية الشخصية مع إجابات مسابقات المجلة للضرورة.
- ترسل الإجابات إلى العنوان الآتي :
- مسابقة الإسراء، العدد 185
- مجلة الإسراء / الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام
- دار الإفتاء الفلسطينية
- ص.ب: 20517 القدس الشريف - ص.ب: 1862 رام الله

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل

موزعة على ستة فائزين

بالتساوي

إجابة مسابقة العدد 183

السؤال الأول: من ؟

1. يونس، عليه السلام
2. من أبي
3. عمر بن الخطاب
4. ابن القيم
5. غادة السمان
6. أحمد محمد خليل العمارة
7. غادة يحيى حرز الله
8. نوح، عليه السلام
9. د. أسامة الأزهرى
10. السلطان سليمان

السؤال الثاني: ما ... ؟

1. رفع الصوت بالتلبية
2. يوم عرفة
3. الجنة
4. واجبة
5. الكراهة

السؤال الثالث: نعم أو لا ... ؟

6. الأسير
7. راس أبو عمار
8. وكالة بيت مال القدس الشريف
9. نادي الأسير الفلسطيني
10. يجوز
1. لا
2. نعم
3. لا
4. نعم
5. لا
6. لا
7. نعم
8. نعم
9. لا
10. لا

الفائزون في مسابقة العدد 183

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
ميّار شريف مفارجة	رام الله	250
علي كايد زيدات	الخليل	250
رجاء عمر أبو شاهين	ضواحي القدس	250
مازن داود فرج	بيت لحم	250
ليالي محمود تعامرة	بيت لحم	250
إخلاص عدنان عبيد الله	بيت لحم	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آمليين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عبر البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكّلة، وصحيحة، ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها إن لم تكن مروية في صحيح البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية أو حواش سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها،

سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة
عن مجلات أو مواقع إلكترونية

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس: مجلة الإسراء / فاكس: 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس: 2348603 ص.ب. 1862

E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps